



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار طليجي الأغواط

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



مذكرة ماستر

تقديم الطالب: محمد بن عامر

الميدان: اللغة والأدب العربي

الفرع: الدراسات اللغوية

التخصص: لسانيات عربية

الموضوع:

الأدوات النحوية ودلالاتها التركيبية في السياقات المختلفة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
- د. توفيق جعمات	- أستاذ محاضر "أ"	- رئيسا
- د. سليمان بن علي	- أستاذ التعليم العالي	- مشرفا ومقررا
- د. إبراهيم ميهوبي	- أستاذ محاضر "أ"	- مناقشا

السنة الجامعية 2017 - 2018

إهداء

أهدي جهدي هذا:

إلى والديّ الكريمين

إلى من تكاتفت معي يداً بيد و شقّت الطّريق معي لأقطع زهرة هذا النجاح : زوجتي

إلى بهجة أيامي : ابنتي رزان

إلى من يجسّد معنى الأخوة: أخي سفيان

كلمة شكر و تقدير

بداية : أحمد الله أن وفقني لإتمام هذا العمل

أتوجه بالشكر إلى :

الأستاذ المشرف *سليمان بن علي* علي صبره و مساعدته

من كانت سندي في هذا البحث *زوجتي*

زميلي : *عبد الله شخوم* و *محمد بن سعدة*

* أخي سفيان *

كما أشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية والأدب

وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

بسم الله و الصلّاة والسّلام على خاتم أنبيائه و رسله ، وبعد :

فقد درج النحاة على دراسة اللغة العربية لغة القرآن العظيم ، لأهداف شتى و مرام مختلفة ، و أسمى هذه الغايات المحافظة عليها من اللحن ، و وقايتها من الخطأ و صيانتها من الاندراست ، فوضعوا لها حجر الأساس و عمود البناء المتمثل في علم النحو ، فبنوا القواعد و أسسوا القوانين التي من شأنها أن تقوم بهذه المهمة ، و ساروا في ذلك وفق منهج علمي دقيق يضمن لهم صحة النتائج و سلامتها.

ولما عكفوا على دراسة اللغة و اكتشاف نظامها و استكناه أسرارها و تفحص تراكيبها و تمحص معانيها ، كان ممّا وصلوا إليه أنّ الكلم لا يعدو أن يكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وكان لكل قسم منها حظ كبير و نصيب وفير من اهتمام اللغويين و النحاة.

وعلى اعتبار أنّ الحرف قسيم للاسم و الفعل فقد تناوله علماءنا القدامى بإسهاب و تفصيل معهودين ، و المؤلّفات في هذا الباب تشهد بذلك سواء في كتب النحو العامّة أو في الكتب الخاصّة بحروف المعاني ، إلّا أنّ المتمعّن فيها يبرز له مصطلح آخر يوازي مصطلح الحرف و هو "الأداة" ، فيجد نفسه أمام إشكالية التفريق بينهما ، فمن العلماء من ساوى بين المصطلحين في المفهوم ، ومنهم من جعل الحرف جزءاً من الأداة.

و كون الوحدة اللّغوية تحمل وجوهًا متعدّدة من المعاني . خاصّة في اللغة العربية . فالأداة كذلك ، وللعلماء في الكشف عن هذه الوجوه طرائق و قرائن أجلّها قرينة السياق التي تفيّ تعتبر الحكم في تحديد الدلالة المقصودة للأداة النحوية ، خاصّة و أنّ الأداة لها معان مختلفة كالاستفهام و الشرط و النفي ... حتّى في الباب الواحد في الأداة الواحدة .

و الخوض في هذه المجالات المذكورة و اختياري لها إنّما نتج عن حبّي للغة العربية لغة القرآن العظيم و الوصول إلى معرفة خبايا تراكيبها و أسرار بلاغتها أوّلاً ، ثمّ الاطلاع على خزانة التّراث اللّغوي العربي و ما تحمله من كنوزٍ ثانياً ، و ما جعل مُتعتي تزيد هو رحلة البحث في القرآن الكريم .

و لإثبات أنّ العلوم اللّغويّة كلّ متكامل (خاصّة النحو و الدلالة و البلاغة) ، و للمزاوجة بين القديم و الحديث في هذه الدّراسة قمت بهذا البحث .

و من الطَّبِيعِيّ أَنْ بذرَة كلِّ بحث تتمثّل في السّؤال الذي هو السّبيل إلى المعرفة ، وبناءً على الأهداف المذكورة انطلقت من الإشكالية الآتية :

— كيف تعمل الأدوات و الحروف في النظام النحوي للغة العربية ؟ و ما هي الإستراتيجيات الدلالية المنوطة بها ؟

و للإجابة عن هذا الإشكال قسّمْتُ عملي هذا إلى مدخلٍ و فصلين : نظريٌّ وتطبيقيٌّ ، و ذلك على النحو التّالي :

— المدخل : تناولت فيه مفهوم السياق و دوره في تحديد دلالات الألفاظ .

— الفصل الأوّل : عالجت فيه مفهوم الأداة النّحوية بين القدماء و المحدثين و سمّتها و أنواعها ، و كيفية تحديد الدّلالة المقصودة لها من خلال السياق .

— الفصل الثّاني : اخترت فيه ثلاثة أصناف من الأدوات المتمثلة في الاستفهام و النفسي و الشرط ، ثمّ قمت بتطبيق أهم المفاهيم النظرية على بعض النماذج المختارة من الذكر الحكيم . و نظرًا لطبيعة الموضوع فقد استعنتُ في هذه الدّراسة بالمنهج الوصفي يتخلّله الإجراء التحليلي .

و كان أن رافقتني مجموعة من المصادر و المراجع اعتمدتها في سقاية هذا البحث أبرزها : كتب الثّراث كشرح كافية ابن الحاجب للرّضي ، شرح المفصل لابن يعيش ، المقتضب للمبرد ، مغني اللّيب لابن هشام ، الجنى الدّاني للمرادي ... و من كتب المحدثين استعنتُ بكتاب اللّغة العربية معناها و مبناها لتّمّام حسّان ، و نظرية السياق بين القدماء و المحدثين .. و حاولتُ إثراء بحثي بكُتُب التّفاسير كتفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور ...

إلّا أنّي لاقيتُ بعض الصّعوبات كاتّساع الموضوع وتشعبه و ترامي أطراف المادّة العلمية ، و مع هذا حاولتُ أن أُلِمَّ بالبحث دون تقصير ، فاقتصرْتُ على أهمّ القضايا خصوصاً التّطبيقية .

و في الأخير ، أحمدُ الله على أن وقّني لإتمام هذا البحث ، و أقدمُ شُكري للأستاذ المشرف، كما لا يفوتني أن أتوجّه بالشُكر و الامتنان سلفاً للجنة المناقشة التي ستولّي قراءة البحث و تقييمه .

لقد اهتدى العلماء في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والعلوم الشرعية إلى ضرورة مراعاة ما يحفّ بالكلام من ملابسات، كأحوال المتكلم، وأحوال السامع، والأمور التي حدثت أثناء عملية التخاطب وكل ما يقوم بين هذه العناصر من روابط تساعد على تحديد الدلالات الحقيقية للنصوص والكشف عن المعنى، وما كان ذلك إلا لأتّهم أدركوا أهمية هذه العوامل في فهم الخطاب وبيان مقاصده، والمتمعن في التراث يجد هذه العناصر قد وردت بمصطلحات عدّة مختلفة قد تترادف أو تتقارب من حيث المعنى ك: المقام، مقتضى الحال، السياق، الموقف، قرائن الأحوال ...

أولاً: تعريف السياق:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب: " (س و ق): السوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا سياقاً... وقد انساقت تساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة متساوقة... والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضها"¹.

وقال الزمخشري: في هذا الباب: "تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"².

وفي المعجم الوسيط: "يقال ساق الله إليك خيراً ونحوه، بعثه إليك وأرسله، وساق الحديث سرده وسلسله... وساقه تابعه وسايره وجاراه... وتساوقت الماشية ونحوها: تتابعت وتزاحمت في السير، وتساوق الشيطان: تساورا وتقاربا... وسياق الكلام: سرده وأسلوبه الذي يجري عليه"³.

فحاصل هذه المعاني اللغوية لكلمة "السياق" هو: التابع والسير.

ب/ اصطلاحاً:

شاع لفظ السياق عند القدماء بمفاهيم مختلفة ومعانٍ متنوعة فقد راجع عند الأصوليين بمعنى الغرض، أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وتناسب عند البلاغيين مع مفهوم الظروف والمواقف والأحداث التي

¹ - ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، مج3، باب السين، ج24، ص2153-2154.

² - الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الفكر، لبنان، ط1399، ص314.

³ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص465.

قيل النصّ بشأنها، معبرين عنه بلفظي الحال والمقام ، كما عرف بالسياق اللغوي الذي يشمل العناصر اللغوية السابقة للكلام أو اللفظ والعناصر اللغوية اللاحقة له، فقد عقد الشافعي رحمه الله في كتابه "الرسالة" باباً أسماه "باب الصنف يبيّن سياق معناه" مستخدماً هذا المصطلح (السياق) بمفهومه اللغوي قائلاً: "تبتدئ العرب الشيء من كلامها يبيّن أوّل لفظة فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عند أوّله"¹. ويعني بذلك سياق النص.

وقد خلص بعض الدارسين إلى أنّ السياق هو: "تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، وهو فهم النصّ بمراجعة ما قبله وما بعده"².

وأشار "أولمان" إلى أنّ السياق: "ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلّها، والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل -بوجه من الوجوه- كلّ ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة التي لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"³.

ومن ثمّ فإنّ للسياق قسمين: قسم يهتم بالعناصر اللغوية السابقة واللاحقة للكلمة وهو السياق اللغوي، وقسم مداره حول الأمور الخارجة عن اللغة وهي الظروف والملابسات التي يرد فيها الكلام وهذا ما يعرف بالسياق غير اللغوي.

ثانياً: أقسام السياق:

لبلوغ معنى الخطاب يستعين المحلّل بحزمة من الأدوات ومجموعة من القرائن، والسياق من القرائن المؤثرة في معنى الخطاب، بل قد يرتكز المعنى عليها، وهذه القرينة إمّا أن تكون داخل التشكيل النصّي أو خارجه وعلى هذا الاعتبار يمكن تقسيم السياق إلى قسمين:

¹ - الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تح: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1399، ص52.

² - حمودة المثني عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، ط1، 2007، ص15.

³ - أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ص57.

أ- **السياق اللغوي:** يمكن تعريف السياق اللغوي على أنه: " تلك العلاقة التي تربط الكلمة بما قبلها وما بعدها من الكلمات، أو بمعنى أدق هو العبارة التي ترد فيها الكلمة وعلى هدى منها يتحدد مفهومها، فالسياق اللغوي لا يتطلب تحديد المعنى حتماً وإنما المعنى هو الذي يتطلب السياق لتحديده " ¹، وعرفه أحمد محمد قدور بأنه: " حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاوزة وكلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً " ².

فالملاحظ من خلال التعريفين أنّ للسياق دوراً بالغاً في تحديد معنى الكلمة، وقد أدرك بعض العلماء العرب هذا الدور، فتتبعوا اللفظ الواحد في القرآن الكريم ورصدوا دلالاته.

ب- **السياق غير اللغوي:** عرفه الدكتور محمود السعران بأنه: " جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، أو للحال الكلامية " ³، ويمثله عند الدكتور حلمي خليل: " العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلّمين أو المشاركين في الكلام " ⁴ وهذا ما قصده محمود السعران بالعناصر المكوّنة للموقف الكلامي.

ثالثاً: أهمية السياق:

وجد العلماء في السياق بقسميه مشكاة توصلهم في تحليل الخطابات إلى ما يرمون إليه من فهم لهذه النصوص وبلوغ المقاصد، وذلك ذلك أنّهم رأوا أنّ الكلمة وحدها لا تفي بالغرض، فوجب النظر في معناها المعجمي وفي تعلقها بغيرها من العناصر اللغوية داخل التركيب وكذا النظر في الملابس التي وردت فيها، ف" المعنى الذي يقدّمه المعجم عادة هو معنى متعدد وعام يتّصف بالاحتمال، على حين أنّ المعنى الذي يقدّمه السياق - لاسيما السياق اللغوي - هو " معنى معيّن له حدود واضحة وسمات محدّدة غير

¹ - خليل عبد النعيم، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، الإسكندرية- مصر، ط1، 2007، ص35.

² - قدور أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط3، 2008، ص355.

³ - السعران محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، 1962، ص338.

⁴ - خليل حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، ص35.

قابلية للتعدّد أو الاشتراك أو التعميم"¹، أي أنّ السياق يعين على بيان المعنى وتحديدّه، كما أنّه مهم في بيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف، فهو كما يقول العزّ بن عبد السلام: "مرشد إلى تبيين الجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكلّ ذلك بعرف الاستعمال، فكلّ صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا، وكلّ صفة وقعت في سياق الذمّ كانت ذمّا، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذمّ صار ذمّا، واستهزاء وتهكّم بعرف الاستعمال، مثال (ذق إنّك أنت العزيز الكريم) الدخان 49، أي الدليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذمّ"²، ومن أمثلة الترجيح ما ورد في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: (على الأرائك ينظرون) المطففين 23، "قيل معناه: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبسد، وقيل معناه: على الأرائك ينظرون" إلى الله عزّوجلّ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجّار: (كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون) المطففين 15، فذكر عن هؤلاء أنّهم يبأحون النظر إلى الله عزّوجلّ وهم على سررهم وفرشهم"³، فيظهر أنّ ابن كثير نظر إلى سياق الكلام في سابقه تصحيحا لهذا التفسير، حيث إنّ الآية تحمل على المعنيين لكنّ ابن كثير رجّح أحدهما باعتبار السياق.

والسياق مهم كذلك في بيان مرجّح الضمير وبيان المحذوف، ففي قوله تعالى: (وإنّه على ذلك لشهيد) العاديات 7، قيل: "الضمير يحتمل أن يكون عائدا على الانسان، وأن يكون عائدا إلى ربّ الانسان المذكور في قوله تعالى: (إنّ الانسان لربّه لكنود) العاديات 6، ولكنّ النظم الكريم يدل على عوده إلى الانسان، وإن كان هو الأوّل في اللفظ، بدليل قوله تعالى بعده (وإنّه لحبّ الخير لشديد)، فإنّه الانسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر يجعل الأوّل للربّ والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم"⁴.

كما أنّه مهم في تحديد معنى المشترك اللفظي، وهو ما احتمل معنيين فأكثر، ومن ذلك قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) الرحمن: 6، و"النجم يراد به الفلك الدوّار في أبراج السماء، ويراد به

¹ - مبادئ اللسانيات، ص 355 .

² - ابن عبد السلام عز الدين ، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تح: رضوان مختار بن غريبة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1407، ج1، ص159

³ - ابن كثير إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط1 ، 2006 ، ج4 ، ص727.

⁴ - الكلبي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1403هـ، ج4، ص214 .

النبات الصغير قسيم الشجر وهو ما لم يكن من النبات على ساق، ومجىء الشجر في سياق الآية الكريمة يدلّ على أنّ المراد بالنجم هو المعنى الثاني¹.

ويعين السياق على تحديد أسلوب الكلام، فحينما يخالف ظاهره المقصود به، فيأتي التعبير بالماضي والمقصود به المضارع، أو العكس، وحينما يكون ظاهره الخبر ويكون المقصود به الإنشاء، ونحو ذلك. ومثال ذلك قول الله تعالى: (والمطلقات يتربصن) البقرة 288، وقوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن) البقرة 23، فالأسلوب أسلوب خبر والمراد في ذلك هو الأمر، والمرشد هو السياق، قال الزركشي عن هاتين الآيتين: "السياق يدلّ على أنّ الله تعالى أمر بذلك على أنّه خبر وإلا لزم الخلف في الخبر"².

وللسياق دور في إفادة التخصيص أو التعميم أي تخصيص العام أو تعميم الخاص، كما أنّه معين على معرفة سبب التقديم، لأنّ أحد أسباب لتقديم ما دلّ عليه السياق، فالزركشي في المقتضى التاسع من مقتضيات تقديم ما قدّم والمعنى عليه يقول: "التاسع: سبق ما يقتضى تقديمه وهو دلالة على السياق، كقوله تعالى: (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) النحل:6، لما كان إسراحها وهي خماص وإراحتها وهي بطان قدّم الإراحة لأنّ الجمال حينئذ أفخر..."³.

وقد جمع ابن القيم هذه الفوائد في قوله: "السياق يرشد إلى تبيين الحمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"⁴.

ولما كان للسياق هذه الفوائد الكثيرة التي ساهمت في إزالة الضبابية عن الكثير من النصوص كان العلماء لا يستطيعون الاستغناء عن هذه القرينة ما جعل تمام حسنان يلقبها بكبرى القرائن، فقد قال في كتابه "البيان في روائع القرآن": "وهكذا تمتدّ قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز، تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقتها النحوية ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية

¹ - ينظر: العريان محمد، المعنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة السياقية في قصة : محمد بن المؤمل للجاحظ، ط1، 1414، ص18 .

² - الزركشي محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تح: أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط 1391، ج2، ص320 .

³ - نفس المصدر، ج3، ص262 .

⁴ - ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مع4، ص1314 .

إلى طبيعية كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسّية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية، ممّا يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق¹. فهذه الركائز المذكورة زادت في أهميّة السياق.

رابعاً: السياق عند القدماء:

1- **عند النحويين واللغويين:** ارتبط النحو بمفهومه العام بالسياق اللغوي، وقد ظهر أثر السياق جلياً في الدراسات النحوية القديمة عن طريق:²

- أ- دراسة النحويين للجملة، ووضعهم القواعد والأصول التي تحكم الترتيب بين أجزائها.
- ب- ظاهرة الإعراب أولوها عناية خاصّة، وما تقتضيه من تقدير وحذف، فقد كانوا يوجهون الإعراب بحسب ما يفرضه السياق اللغوي.
- ج- إهمال بعض الأدوات العاملة، إذا اقتضى السياق اللغوي ذلك وإعطاء بعضها حكم الأدوات الأخرى.
- د- تصنيفهم لبعض الأدوات دلاليًا بحسب ما يقتضيه السياق وشغل هذه الأدوات لأكثر من وظيفة.

كما أدرك النحويون أهمية سياق الحال في الوقوف على المعنى الكلّي الشامل للحدث الكلامي. أمّا اللغويون فقد كانت دراستهم لهذه القضية قاصرة عن إخوانهم النحويين الذين تناولوا السياق بمفهوم أوسع وأشمل.

في حين نجد ابن جنّي قد تنبّه لسياق الحال وأدرك عناصره وأولاه عناية خاصّة، وهو يتفق مع المحدثين في كثير من قضايا هذه النظرية، وممّا يثبت ذلك أقواله التي منها: "ليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلق الأحمر والأصمعي، ومن في الطبقة الوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيمتنعاه من كلامها وتقصد له من أغراضها، ألاّ

¹ -تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، 1413، ص 221-222.

² - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 112، 132.

تستفيد من تلك المشاهدة وتلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف فيهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة، لكان عند نفسي وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه غير متهم الرأي والنحيظة والعقل"¹.

2- عند البلاغيين:

ناقش البلاغيون عدّة قضايا تعتبر في أساسها قضايا سياقية، أبرزها:²

أ- فكرة المقام من خلال عبارتهم الشهيرة "لكلّ مقام مقال" حيث ترتبط هذه الفكرة ارتباطاً جزئياً بما أسماه أصحاب النظرية السياقية بالمقام أو السياق الاجتماعي من ناحية كما ترتبط بالسياق اللغوي من ناحية ثانية.

ب- الأسلوب وأغراضه البلاغية، فكثيراً ما يخرج الأسلوب عن معناه الأصلي الذي وضع له إلى معنى آخر ليس له وإنما اقتضاه السياق.

ج- معنى الفصاحة حيث قسّموا الفصاحة إلى مستويين: ومستوى الأفراد ومستوى التركيب، أمّا المستوى الأوّل فهو مرتبط بالسياق الصوتي والمستوى الثاني وهو مستوى التركيب مرتبط بالسياق اللغوي حيث نظروا في اللفظ المفرد وموقعه من العبارة أو الجملة.

د- النظرات النقدية عندهم في الشعر والشعراء، حيث تقترن البلاغة في كثير من الأحيان بالنقد الأدبي.

2- عند المفسرين والأصوليين:

لقد كان للدراسة السياقية حظاً كذلك عند المفسرين، فقد كانت عناصرها مبثوثة في كثير من قضاياهم، وذلك يتّضح في:³

¹ - عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 249.

² - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 162-163.

³ - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 199-201.

أ- تعريفهم الاصطلاحي لعلم التفسير حيث جمعوا في هذا التعريف جلّ عناصر السياق التي تتمثل في المتكلم والسامع، وكذا الزمان والمكان، وما في المواقف من أشياء وظروف وملابسات.

ب- لم يقتصروا في تفسيرهم لآي القرآن على المفردات، بل منهم من نصّ صراحة على وجوب النظر إلى السياق الذي وردت فيه الكلمة فمعنى الكلمة مفردة قد يختلف عن معناها مركبة.

ج- أسباب النزول التي كانت لها عناية خاصّة عندهم من قبيل السياق الاجتماعي، وقد بلغ اهتمامهم بها أنهم نصّوا على أنه لا يمكن تفسير آية قرآنية دون الوقوف على أسباب نزولها.

في حين يمكن أن تُجمل أسس هذه النظرية عند علماء الأصول فيما يلي:¹

أ- اهتمامهم الكبير بما يمكن أن يسمّى علم الدلالة الذي هو واحد من الأسس التي تقوم عليها نظرية السياق.

ب- إذا كان السياق اللغوي بمعناه العام لا يقتصر على الجملة أو العبارة بل يتعدى ذلك إلى الفقرة كاملة أو الكتاب، فإنّ الأصوليين قد اهتموا إلى ذلك أيضا.

ج- لا يقتصر حديثهم في البحث عن الدلالة على المعنى المعجمي للكلمة بل كثيرا ما استندوا على ما يسمّيه المحدثون بالسياق الاجتماعي والثقافي والظروف التي تحيط بالحدث الكلامي.

خامسا: السياق في النظرية الحديثة:

كان السياق ولا يزال نقطة اهتمام لكثير من الدارسين، غير أنّ معظمهم يتفق في أنّ الفضل في تأصيل هذه النظرية وذيوعها في الدرس اللغوي الحديث يرجع إلى "فيرث".

اختلفت وتعددت نظرة اللغويين إلى المعنى، كلّ حسب اهتمامه وتخصّصه إلا أنّ "فيرث" رسم لنفسه منهجا آخر يولي فيه اهتماما كبيرا للمقام وكلّ ما يتّصل به من ظروف وملابسات وليئة الكلام المدروس وصيغته وقد وضّح "فيرث" خمسة أسس لدراسة المعنى والوصول إلى الدلالة الكاملة:²

أ- الوقوف على الوظيفة الصوتية للصوت.

¹ - ينظر: نفس المرجع، ص 239-244.

² - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 278-279.

- ب- الوقوف على الوظيفة المعجمية للكلمة.
- ج- الوقوف على الوظيفة المورفولوجية للكلمة.
- د- الوظيفة التنغيمية على مستوى التركيب.
- هـ- الوظيفة الدلالية التي تظهر في السياق وكلّ ما يتوفّر فيه من عناصر.
- ومن هذا الأساس الخامس الدلالي، ظهر السياق عند " فيرث".
- وسياق الموقف أو المقام عند " فيرث" يعني مجموعة من العناصر والملابس التي تتضح وقت الكلام الفعلي، هذه الظروف والملابس تتمثل في:¹
- أ- شخصية المتكلم والسامع وتكوينها الثقافي وشخصيات من شهد الكلام إن وجدوا ودورهم.
- ب- العوامل والظواهر الاجتماعية، والمناخية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وقت الكلام.
- ج- أثر الكلام في المشتركين، كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك وغير ذلك.
- ومن كلّ ما سبق ندرك أنّ التحليل اللغوي بكلّ مستوياته عاجز في كثير من الأحيان عن الوصول إلى المعنى الدلالي الكامل دون العودة إلى السياق بكلّ ظروفه وملابساته، ومن هنا أخذ السياق مكانته في الدّراسات القديمة والدّراسات اللغوية الحديثة.

¹ - ينظر: نفس المرجع، ص 282 .

الفصل الأول: الأداة النحوية المفهوم والوظيفة.

- 1/ تعريفها
- 2/ عند العرب القدامى
- 3/ عند العرب المحدثين
- 4/ سماتها ومميزاتها
- 5/ أنواعها
- 6/ دور السياق في تحديد الدلالة

حاولت من خلال هذا الفصل أن أقدم أهم المفاهيم النظرية المتعلقة بالأداة النحوية مستهلاً ذلك بكيفية تناول هذا الموضوع عند النحاة القدامى والمنهج الذي اتبعوه في تصنيف وترتيب مادته، دون ، دون إغفال لمصطلح الحرف عندهم، وكذلك التعرّيج إلى ما وصل إليه اللغويون المحدثون في هذا الباب. ثم دلفت بعد ذلك إلى ما وجدت من بعض السمات والخصائص التي تتحلّى بها الأداة النحوية وتميزها عن غيرها من أقسام الكلم.

وكون الأداة النحوية في اللغة العربية تكتسي في كل مرة معان و دلالات جديدة يعجز المستوى النحوي في كثير من الأحيان عن الكشف عنها و الوصول إلى المعنى الدلالي الكامل، ربطت هذه الدراسة بعلم الدلالة من خلال قرينة السياق .

عين اللغويون و النحاة القدامى اللغة العربية و حاولوا اكتشاف نظامها ، و كان ممّا وصلوا إليه أنّ الكلام لا يخرج عن ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف ، وقد اعتنى علماءنا القدامى بالقسم الثالث -الحرف- و تناولوه بالدراسة و التحليل ، إلا أنّ الباحث في التراث يصطدم بمصطلح آخر يتواءم و مصطلح الحرف المتمثل في "الأداة" ، فمنهم من أبقى على تسمية الحرف، ومنهم من أطلق عليه الأداة، ومنهم من قصد بالأداة الحرف وما شاكلة...وفيما يلي محاولة للوقوف على مفهوم الأداة من خلال تأريخها النصّي:

أولاً: تعريف الأداة النحوية:

أ/ لغة:

جاء في لسان العرب: " ألف الأداة او لأنّ جمعها أدوات ولكلّ حرفة أداة: وهي آتة التي تقيم حرفته...وأداة الحرب سلاحها..."¹

و ورد في المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلّميها في مادة(أ د و): " أداة : جمع أدوات : 1- آلة يستعان بها لإنجاز غرض من الأغراض"²

ندرك من خلال التعريفين أنّ مصطلح الأداة يدور حول معنى الآلة والعمل.

ب/ اصطلاحاً:

الأداة "عند النحاة والمنطقيين هي الحرف المقابل للاسم والفعل ، أي أنّها القسم الثالث من أقسام الكلم في مقابل القسمين الآخرين الاسم والفعل"³.

وجاء مصطلح الأداة عند سيبويه مساوياً للحرف في قوله: " وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر وأكثرها الواو ثمّ الباء"⁴ ، إذ الواو والباء- في نظره- من حروف الجرّ، وقول سيبويه هذا صريح في أنه

1 - ابن منظور، لسان العرب، مج1، باب الهمزة، ج 1 ، ص 48 .

2 - عدد من اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلّميها، لاروس للنشر والتوزيع، 1989، ص 79 .

3 - التهانوي محمد علي ، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، ج1، ص 127 .

4 - سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1988، ج3، ص 496 .

يستعمل مصطلح الأداة ليشير إلى مفهوم محدد هو الحرف، وهو مصطلح لا تدخل فيه عنده: الأسماء والأفعال والظروف¹.

ونهج الفراء منهج سيبويه في كتابه معاني القرآن فجاء حديثه عنها متفرقا بيد أنّ مصطلح الأداة عنده بات أكثر سعة وأشمل دلالة، حيث أدرج تحت الأداة- إضافة إلى حروف المعاني- الأسماء الموصولة وأسماء الأفعال والحروف المتقطعة في بادئ السور².

وقد استخدم المبرد لفظة الأداة بمعنى: الآلة التي تستخدم في العمل سواء أكانت حرفا أو غيره، فقد جاء في المقتضب: "اعلم أنّ الأفعال أدوات للأسماء تعمل فيها، كما تعمل فيها الحروف الناصبة والجارّة، وإن كانت الأفعال أقوى في ذلك"³.

أما ابن هشام الأنصاري فقد أطلق مصطلح المفردات على الحروف فقال: "وأعني بالمفردات الحروف وما تضمّن معناها من الأسماء والظروف فإنّها المحتاجة إلى ذلك"⁴.

وهذا السيوطي يصرّح بالمصطلح فيقول: "وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف"⁵.

نستنتج ممّا سبق من التعاريف أنّ من النحاة من قصر مفهوم الأداة على الحرف فجعلها مساوية له، ومنهم من وسّع في مفهومها فجعلها تشمل- فضلا عن الحروف- بعض الأسماء والأفعال والظروف المشابهة للحروف.

كان اهتمام اللغويين قديما منصبًا على تعريف الحرف وعدّته وعمله ومعانيه وأقسامه، وهذا ما نجدّه عند سيبويه- بداية- حين قال: "الكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل"⁶. ثمّ تلتته

1 - بلحاف عامر فائل محمد، الخلاف النحوي في الأدوات، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد-الأردن، 2011، ص9.
2 - ينظر: الفراء أبو زكريا، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور للنشر، 1980، ج1، ص467.
3 - المبرد محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث للنشر، بيروت، ط2، 1979، ص318.
4 - الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، ط6، 1985، ج1، ص17.

5 - السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1988، ج2، ص117.

6 - الكتاب، ج1، ص12.

مجموعة من التعاريف لم تخرج عن هذا المفهوم إلا في القليل، إلا أنّ مفهوم الأداة أهمل ولم يبيّن معناها ولم ترسم حدودها إلا فيما ندر، ويرجع هذا الإشكال إلى أنّ هذا المصطلح لم يحظ باتفاق النحويين وأنّه لم يكن مستقرّاً إلا في مراحل متأخرة.

ومن بين تعاريف الحرف التي وصلتنا قول ابن الحاجب: "الحرف ما دلّ على معنى في غيره"¹، معتبرا إيّاه خال من أيّ معنى، " إذ هو كالعلم المنصوب بجنب شيء ليدلّ على أنّ في ذلك الشيء فائدة، فإذا انفرد عن ذلك الشيء بقي غير دالّ على معنى أصلاً"².

وكون الحرف لا يحمل أي معنى في ذاته ومفتقرا له احتاج دائما إلى جزء آخر من الكلام يتعلّق به ليبيّن معناه، وقد يكون هذا الجزء مفردا (اسما/فعلا) أو جملة، وهذا ما يقتره الرضي الإسترابادي في قوله: "ومن أجل أنّ معناه في غيره، احتاج في كونه جزء كلام إلى اسم أو فعل... فالاسم يصحّ أن يكون جزء كلام من دون شيء آخر، وكذا الفعل في نحو: قام زيد، و أمّا الحرف فلا بدّ في كونه جزء كلام من فعل أو اسم وقد يحتاج إلى المفرد وقد يحتاج إلى الجملة كحرف النفي والاستفهام وحرف الشرط..."³. والملاحظ أنّه استخدم مصطلح الحرف لما نسّمه اليوم بالأداة: مثل أداة الاستفهام وأداة النفي وأداة الشرط، فدلّ هذا على تساوي المصطلحين عنده.

ورغم أنّ الحروف تشترك في افتقارها إلى معنى في ذاتها، فهي تفترق في مكان مجيئها فمنها ما يختصّ بالدخول على الأسماء، ومنها ما يأتي للأفعال، ومنها ما هو مشترك بين الأسماء والأفعال:⁴

1- ما يدخل على الأسماء والأفعال: ك: هل ، مثال دخولها على الأسماء قوله تعالى (فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) الأنبياء 80، ومثال دخولها على الأفعال قوله تعالى: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ) ص 21.

2- ما يختصّ بالأسماء: ك(في)، في قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) الذاريات 22.

3- ما يختصّ بالأفعال: ك(لم)، في قوله تعالى: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) الصمد 3.

¹ - الإسترابادي الرضي ، شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2 1996، ج 4، ص 259.

² - نفس المصدر، ج 1، ص 37.

³ - نفس المصدر، ج 4، ص 259-260.

⁴ - الأنصاري ابن هشام ، شرح شذور الذهب، دار ابن كثير ، بيروت . ، ط 3 ، 2013، ص 30.

ثانياً: الأدوات النحوية عند العرب القدامى:

لم يكن مصطلح الأداة خفيًا على النحاة واللغويين، بل ورد في كثير من كتب النحو العامة، وفي كتب معربي القرآن، ويمكن تصنيف هذه الكتب إلى ثلاثة أصناف:¹

1- صنف يتناول الأدوات بتبويب خاص: مثل ما فعل سيويوه، حيث أفرد بابا خاصًا أسماه (باب عدّة ما عليه الكلم)، كما تناول بعضها من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، في مواضع متفرقة من مؤلفه.

ويندرج تحت هذا الصنف أيضا كتاب الفراء (معاني القرآن)، والمقتضب للمبرّد، وإعراب القرآن للزجاج، والأصول في النحو لابن السراج، وبدرجة أكثر دقة وتفصيلا المفصل للزمخشري، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، والإتقان للسيوطي.

2- صنف يضم المؤلفات التي اختصت بالأدوات أو حروف المعاني: ومن أهمّها: حروف المعاني لأبي القاسم الزجاجي، ومعاني الحروف للرماني، وكتاب الأزهية في علم الحروف للهروي، ووصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، والجنى الداني على حروف المعاني للمرادي، ومعاني الحروف والأدوات لابن القيم ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.

3- صنف يتمثل في الكتب التي تناولت الأدوات، لكن بالتركيز على جزئية: مثل: الهمز لقطرب، الثنية والجمع لأبي عبيدة، واللامات في القرآن للأخفش، واللامات لابن كيسان، والألفات لابن الأنباري، واللامات للزجاجي.

• منهج دراسة الأدوات في كتب التراث العربي:

شهدت منهجية دراسة الأدوات في المؤلفات اللغوية القديمة تباينا من حيث هي كتب عامّة تضم في طياتها جلّ ما يخصّ علم النحو، أو من حيث هي كتب خاصّة تصبّ اهتمامها على كل ما يخصّ هذا الباب النحوي- الأدوات- حتى وإن اتفقت في تركيزها على هذه الجزئية إلا أنّ منهج العلماء اختلف في

¹ - خان محمد، الأدوات النحوية بنيتها ووظيفتها، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر، جانفي 2009، ع14، ص43.

كيفية تناول الأدوات النحوية وطريقة دراستها، والمتعمّن في المؤلفات الخاصّة بالأدوات يجد نفسه أمام قسمين:¹

1- قسم لم يتّبع فيه ترتيب معيّن، ولا منهج واضح، ربّما لأنّه يمثّل مرحلة متقدّمة من الدراسة، مثل كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي.

2- قسم اتّسم بالمنهجية الدقيقة والتنظيم الواضح، وكان ابن هشام أوفى النحاة لهذا القسم، فبدأ بالحروف وأحكامها، وما تضمّن معناها من الأسماء والظروف، وربّتها ترتيباً ألفبائياً ليسهل تناولها، مدعّمًا ما يرى من أقوال وآراء بالشواهد القرآنية والشعرية وغيرها.

ورغم أنّ علماء اللغة اختلفوا في دراسة الأدوات النحوية وتباينوا في طريقة تناولها، وتفاوتوا في رسم الحدود لها، إلا أنّ مؤلّفاتهم جميعاً في مجملها تبرز شيئاً واحداً هو مدى اهتمامهم باللغة العربية و قمة اجتهادهم في صيانتها والبحث في جزئياتها.

ثالثاً: الأدوات عند العرب المحدثين:

لم تتوقّف جهود النحاة القدامى حول دراسة الأدوات النحوية، بل حاول الدارسون العرب المحدثون استلام المشعل في شرح ما كان مبهماً، وإزالة اللبس عمّا كان غامضاً، وإتمام ما كان ناقصاً أو عالقاً، وطبعاً الإفادة من النتائج المبهرة التي وصلوا إليها، كما كان لعلم اللغة الحديث أثره البالغ في تحليلات اللغويين المحدثين، فامتطوا منهاجهم واعتمدوا أساليبه علّهم يصلون إلى نتائج مغايرة أو مكّملة للدراسات القديمة.

فالأداة عند بعض الدارسين المحدثين هي: " مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق، والعلاقة التي تعبّر عنها الأداة إنّما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة"². أو هي تلك " التي يستخدمها المتكلم لإحكام دلالة الجملة، وإتمام إفادتها حتى يطابق الكلام مقتضى الحال، وللربط بين الأسماء والأفعال والجمل من أجل إنشاء الأسلوب، ومن ثمّ تكتسب الأداة معناها من السياق"³.

¹ . ينظر: الأدوات النحوية بنيتها ووظيفتها ، ص 5.4.

² - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 123 .

³ - المتولي صبري ، في علم النحو العربي رؤية جديدة وعرض نقدي، دار غريب، القاهرة - مصر، 2001، ص 232 .

و عرّفت كذلك بأنها " روابط تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض وتدل على مختلف العلاقات الداخلية بينها"¹

فهذه التعريفات تركز وتنبّه على فكرة الربط والتعليق التي هي من أسمى وظائف الأداة النحوية، فهي تربط بين أجزاء الجمل داخل التراكيب.

أما إبراهيم أنيس فيرى أن الأداة " هي القسم الأخير من أجزاء الكلام ، يتضمن ما بقي من ألفاظ اللغة ، ومنها ما يسمى عند النحاة بالحروف سواء أكانت للجر كما يقولون أو للنفي أو للاستفهام أو للتعجب و منها ما يسمى بالظروف زمانية كانت أو مكانية مثل: فوق، و تحت، و قبل، و نحو ذلك"².

و يزيد فاضل مصطفى الساقى في توسيع مفهوم الأداة في اللغة العربية ليشمل عنده:³

- ما يسمى عند النحاة بحروف المعاني.

- بقية أدوات الاستفهام التي كانت تعد عند النحاة من الأسماء، و هي: مَنْ، وما، وأيّ، ومتى ، وأيّان ، وأين ، وأيّ ، وكيف، وكم.

- بقية أدوات الشرط التي كانت تعد عند النحاة من الأسماء، وهي: مَنْ، وما، ومهما، وأيّ، وأين، وأيّ، وحيثما، ومتى، وأيّان، وكيفما.

- كان وأخواتها و كاد وأخواتها.

- أداة التعجب "ما" ، و "كم" الخبرية التي تفيد التكثير.

و من التعريفين الأخيرين نستنتج أن مصطلح الأداة عند المحدثين شهد كذلك توسعا في المفهوم و أصبح يضم حروف المعاني، و أسماء الاستفهام، و أسماء الشرط، و بعض النواسخ...

¹ - النحاس مصطفى ، دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986، ص24 .

² - أنيس إبراهيم ، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية للطباعة والنشر، مصر ، ط6، 1978، ص294 .

³ - الساقى فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2008، ص200-

فهو غير مساو لمصطلح الحرف، فكل حرف أداة و ليس كل أداة حرفاً.

ويرى تمام حسان أنّ الأداة قسمان:¹

- الأداة الأصلية: وهي الحروف ذات المعاني كحروف الجرّ والنسخ والعطف...

- الأداة المحوّلة: وقد تكون هذه الأداة:

✓ ظرفية: إذ تستعمل الظروف في تعليق جمل الاستفهام والشرط.

✓ اسمية: كاستعمال بعض الأسماء المبهمة في تعليق الجمل مثل (كم، كيف) في الاستفهام والتكثير

والشرط أيضاً.

✓ فعلية: لتحويل بعض الأفعال التامة إلى صورة الأداة بعد القول بنقصانها مثل كان وأخواتها وكاد

وأخواتها.

✓ ضميرية: كنقل (من) و(ما) و(أي) إلى معاني الشرط والاستفهام والمصدرية والظرفية

والتعجب... الخ.

وقد وافق علماء اللغة المحدثون النحاة العرب في أنّ الأداة لا تحمل معنى في ذاتها بل هي محتاجة دائماً

إلى التعلّق بجزء آخر من الكلام مفرداً كان أو جملة، فأما "الأدوات الداخلة على الجمل فرتبتها على وجه

العموم الصدارة، وأما الأدوات الداخلة على المفردات فرتبتها دائماً التقدّم"².

• التعليق بالأداة:

التعليق مصطلح خطير أتى به عبد القاهر الجرجاني ونجدته في مواضع شتى من مؤلّفه المشهور "دلائل

الإعجاز"، والتي منها قوله: "ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض،

¹ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 123 .

² - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 224.

والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيم بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما¹.

وبما أنّ أسمى وظيفة تقوم بها الأدوات هي التعليق بين الجرجاني أنّ تعلق الحرف على ثلاثة أضرب:²

1- أن يتوسّط الحرف بين الفعل والاسم، مثل حروف الجر التي تعدّي الأفعال إلى الأسماء، مثل: كتبت بالقلم على الورق.

2- أن يدخل الحرف اللفظ الثاني في عمل العامل في الأوّل، مثل: قام أحمد وحافظ.

3- أن يتعلّق الحرف بمجموع التركيب بما يدخل عليه، كتعلّق حرف النفي، أو تعلق حرف

الاستفهام.....

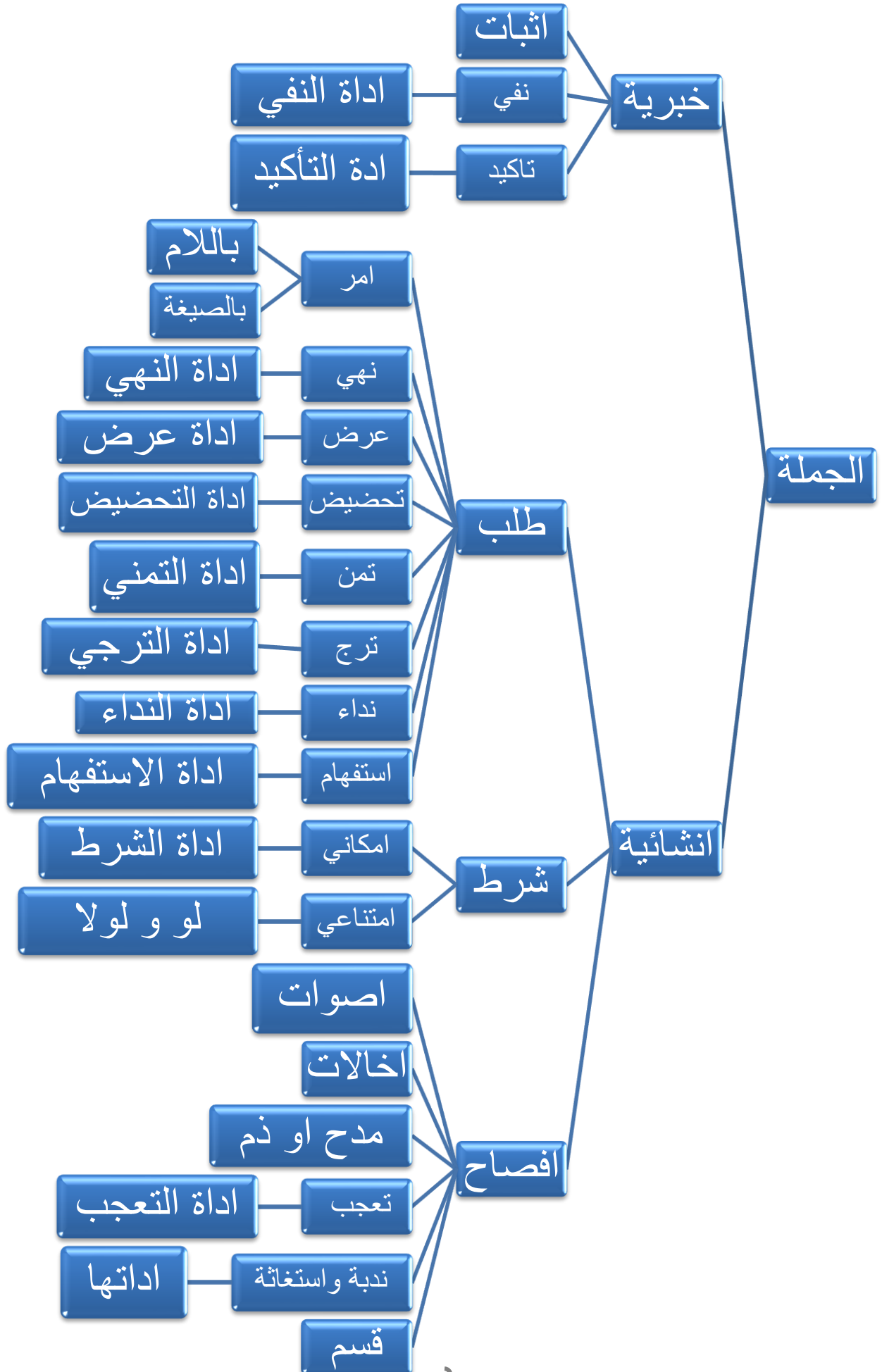
ويرى تمام حسان أنّ التعليق بالأداة³ أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى، فإذا استثنينا جملة الإثبات والأمر بالصيغة (قام زيد، وزيد قام، وقم) وكذلك بعض جمل الإفصاح فإنّنا سنجد كلّ جملة في اللغة الفصحى على الإطلاق تشكّل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة³، ويمكن أن يتضح ذلك - حسب تمام حسان - من الشكل الآتي:⁴

¹ - دلائل الإعجاز، تح: التونجي محمد، دار الكتاب العربي، ط2، 1997، ص13 .

² - ينظر: نفس المصدر، ص13 وما بعدها .

³ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص123 .

⁴ - نفس المرجع، ص124 .



من المخطّط ندرك أنّ لكلّ معنى أداة تمثّله، وليس هذا فحسب، بل إنّها " تلخّص معاني النفي والتأكيد والاستفهام والأمر باللام والعرض والتحضيض والتمني والترجي والنداء والشرط الامتناعي والشرط الإمكانى والقسم والندبة والاستغاثة والتعجّب، كلّ ذلك بالإضافة إلى ما للأداة من وظيفة الربط بين الأبواب المفردة في داخل الجملة كالذي نجده في حروف الجر والعطف والاستثناء والمعيّة وواو الحال أو من وظيفة أداء معنى صرّفي عام كالذي نراه في أداة التعريف"¹.

ولما كان التعليق الوظيفة العامة التي تشترك فيها جميع الأدوات فإنّ كل طائفة منها تؤدي وظيفة خاصة أيضا تسمى الأدوات باسمها، فالنفي، والتأكيد، والشرط، والاستفهام، والتمني، والترجي مثلا وظائف خاصة تقوم بها أدوات النفي، والتأكيد، والشرط، والاستفهام، والتمني، والترجي، فيكون معنى الأداة هو معنى الجملة، وهنا يتضح تشابك العلاقة بين الأداة وبين جملتها بحيث تسري التسمية الواحدة على الأداة والجملة معا²، حيث تكون الأداة "هي العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلّها حتى يمكن للأداة عند حذف الجملة أن تؤدي المعنى كاملا كالذي نراه في عبارات مثل: لم، عمّ، متى، أين، ربّما، وإن، لعلّ، ليت، لو... الخ، فيكون المعنى الذي تدلّ عليه هذه الأدوات هو معنى الجملة كاملة وتحدّده القرينة بالطبع"³.

رابعاً: سمات الأدوات ومميّزاتها:

لما كان الكلم عبارة عن مجموعة من الأقسام، وجب أن يكون لكلّ قسم سمات تميّزه عن غيره، فقد رسم العلماء حدودا تفصل بين هذه الأقسام، والأداة كذلك فهي تنضوي على ثلّة من الخصائص - مبنى ومعنى - تجعلها تميّز عن باقي الأقسام:

1- تحتل الأداة في اللغة العربية الصدارة في الترتيب ميزة خاصة تتسم بها الأداة، ذلك أنّها تعدّ قرينة مهمة يتكل عليها في تقريب المعنى وتحديدّه، فالأدوات أشدّ تأصّلا في حقل الرتبة من الضمائر ومن ثمّ تعتبر مجالا خصبا لدراسة الرتبة في اللغة العربية الفصحى⁴.

¹ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 125 .

² - أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة، ص 199-200 .

³ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 125 .

⁴ - نفس المرجع، نفس الصفحة .

فالأدوات التي تتصدّر الجمل هي التي تحدّد أسلوبها، إذ تسبغ عليها معنى معيّنًا فتحوّل الجملة بذلك إلى منفية أو استفهامية أو... حسب تخصص كلّ أداة تبعًا لأغراضها.

وبما أنّ الأدوات التي تدخل على الجمل حقّها الصدارة في الترتيب، فالأدوات التي تدخل على المفردات كذلك، هي تتقدّم ما تدخل عليه، كتقدّم أدوات العطف على المعطوف، أو حروف الجرّ على المجرور...

2- تحتاج الأدوات إلى غيرها من الأسماء والأفعال، والجمل لبيان معناها، أي أنّها تفتقر إلى الضمائم، وهذا مأخوذ من قولهم في تعريف الحرف (هو ما دلّ على معنى في غيره)، إذ لا تؤدّي معناها إلّا مع ضمائمها، " فلا يفيد حرف الجر، الجرّ إلّا مع المجرور، والعطف إلّا مع المعطوف حتى أدوات الجمل مفتقرة إلى ذكر الجملة كاملة بعدها ولا تحذف الجملة حين تحذف وتبقى الأداة بعدها إلّا مع القرينة التي يمكن بها فهم المراد فتحلّ القرينة في إيضاح معنى الأداة محل الجملة"¹.

3- من الأدوات ما هو متصل، ومنها ما هو منفصل، مثلها في ذلك مثل الضمائر في انقسامها إلى متصلة ومنفصلة، " فإذا كانت الأداة على حرف واحد كانت متّصلة بما يأتي بعدها من ضميمة مثل باء الجر في (بمحمد) ولامه في (لمحمد) وكذلك في (به) و(له)، أمّا إذا جاءت الأداة على أكثر من حرف واحد فإنّ النظام الإملائي يفصلها في الكتابة عن ضميّتها، مثل (عن محمد) و(على محمد)، فأما (عنه) و(منه) و(عليه) فالوصل هنا للضمير لا للأداة فإنّ الضمير حين أصبح على حرف واحد لحق بما قبله"².

وهذه الخاصّية تنفرد بها الأدوات عن الأفعال: " لأنّ فعل الأمر مثلا قد يصبح على حرف واحد ومع ذلك يكتب مستقلًا، نحو (ق نفسك) و(ع درسك)"³.

وحيثما تكون الأداة متّصلة لا تعدّ من اللواصق، لأنّ هناك فرقا بين الأداة المتّصلة واللاصقة، فالأولى إذا حذفت " بقي ما بعدها دالّا على معناها الذي كان له، وأمّا اللاصقة إذا فصلناها عمّا لصقت به فإنّ زوال الإلصاق يزيل معنى صرفيا أو نحويا كان عند وجود الإلصاق كالتثنية أو الجمع أو التكلّم

¹ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 126 .

² - نفس المرجع، نفس الصفحة .

³ - نفس المرجع، نفس الصفحة.

أو الخطاب أو الغيبة أو التأنيث... فالفعل الماضي في (ما قام زيد) يبقى على فعليته ومضيه عند زوال (ما) ولكن الذي يتأثر بزوال (ما) هو معنى النفي وهو معنى الجملة كلّها لا معنى الماضي فقط¹.

4- ومن الخصائص التي نصّ عليها النحاة أنّ الأداة لا تقبل علامات الاسم ولا علامات الفعل، فلا تقبل الإسناد والنداء، والجرّ... كما لا تقبل تاء التأنيث ولا التاء المتحركة ولا السين ولا سوف، ولا نون التوكيد... فإذا لم يحسن في اللفظ شيء من العلامات الخاصة بالأسماء والأفعال علم أنّها أداة².

5- تعدّ الأدوات من المبنيات، فلا يعتمدها التغيير الإعرابي الذي هو خاصية في غيرها من الأسماء والأفعال والصفات، وهذه السمة ليست مقصورة على الأداة بل تشترك معها في هذه السمة الضمائر، وبعض الظروف³.

6- طبيعة الأداة غير الاشتقاقية (الجامدة) لا تسمح لها بالدخول في جدول تصنيفي، كما هو متاح للأسماء والأفعال، فالأدوات من العناصر اللغوية الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها ولا يمكن أن تعوّض غيرها.

7- تتميز الأدوات كذلك بمجيئها لمعنى معيّن في الاسم خاصة، أو في الفعل خاصة، " وإذا خُصّصت الأداة صارت عاملاً، له دور في تغيير الحركة الإعرابية"⁴، فالأول مثل: حروف الجرّ، النداء... والثاني مثل: نواصب الفعل المضارع وجوازمه... وبذلك يصبح للأداة دور في ذاتها وهو دلاليّ ودور يتعدّها ويؤثر في غيرها مرتبط بظاهرة الإعراب وهو دور وظيفي.

8- وأبرز ما تتسم به الأدوات "التعليق" فهو وظيفة الأدوات جميعاً، إذ المعاني التي تؤدّيها معانٍ وظيفية لا معجمية لأنّها تعبر عن العلاقات داخل السياق، ولكلّ أداة في اللغة العربية "ضمائمها الخاصة" فهي تتطلّب بعدها شيئاً بعينه فتكون قرينة متعدّدة جوانب الدلالة حيث تدلّ بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامها مع الكلمات الأخرى وبما قد يكون متفقاً مع وجودها من علامات إعرابية على ضمائمها، وهذا

¹ - نفس المرجع، ص 127 .

² - الأدوات النحوية بنيتها ووظيفتها، ص 6 .

³ - الشاذلي أبو السعود حسنين ، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية-دراسة تحليلية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1989، ص 40 .

⁴ - الأدوات النحوية بنيتها ووظيفتها، ص 8 .

التعدّد في جوانب الدلالة بقريئة الأداة يجعلها في التعليق النحوي قريئة لفظية هامّة جدًّا¹، وأداة مهمّة من أدوات الربط، وهذا الرّبط بالأداة على أربعة أوجه: ربط اسم باسم، وربط فعل باسم، وربط فعل بفعل، وربط جملة بجملة.

9- تساهم الأدوات في نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى، ف" حين يكون الربط بين أجزاء الجملة كلّها يكون معنى الأداة هو ما يسمّونه (الأسلوب) كحين يتكلّمون عن أسلوب النفي أو الشرط أو الاستفهام، فالربط هنا بما تحمله الأداة من وظيفة الأسلوب...وقد تحمله إيجابيا بوجودها أو سلبيا بعدمها حين تقوم القريئة على المعنى المراد مع حذف الأداة وذلك كالاستغناء عن أداة الاستفهام أو العرض عند الاتّكال على قريئة النّعمة...فيصبح معنى الأداة قد تحقّق على رغم حذفها بواسطة ما يسمّى " الدلالة العدمية" أي دلالة عدم وجود الأداة وهو (الحذف) على المعنى الذي يكون عند وجودها"².

ومّا سبق من السّمات نجدها تعود في الحقيقة إلى ميزتين: المبني والمعنى، أيّ الناحية الشكلية للأداة والناحية الوظيفية، فالأولى مثل: الرتبة، الرسم الإملائي، البناء...والثانية يمثّلها التعليق.

خامسا: أنواع الأدوات:

إذا نظرنا إلى الأدوات من حيث بنيتها، فإنّنا نجدها "منحصرة في خمسة أقسام: أحادي، وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي"³:

- الأحادية: نحو: الواو، والفاء، من حروف العطف...
- الثنائية: نحو: من، في، عن، من حروف الجر...
- الثلاثية: نحو: أين، متى، ثمّ كيف...
- الرباعية: نحو: حتّى، أمّا، لكن، لعلّ...
- الخماسية: نحو: لكنّ المشددة وهي الأداة الوحيدة التي تتكوّن من خمسة أصوات (لاكن).

¹ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 225 .

² - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 127-128 .

³ - المرادي الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نسيم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1992، ص 29 .

كما تنقسم الأدوات إلى مفردة وأخرى مركّبة، فالأولى نحو: من، عن، في، إلى، حتى... والثانية مثل: لولا، لوما، هلاً، ألا... فصارت بعد التركيب كلمة واحدة، ولها معنى جديد تقوم بأدائه لم يكن لها قبل التركيب.

سادساً: الأداة والسياق (تعدّد المعنى الوظيفي للأداة):

تختلف دلالة الكلمة من تركيب لآخر ومن استعمال لآخر، فيكون لها أكثر من معنى ولا يتحدّد معناها المراد إلّا من خلال وضعها في تركيب معيّن، " فالمعنى يستفاد من النظرة الأفقية في التركيب، من خلال النظر إلى الكلمة مع غيرها في السياق، وليس النظر إليها منفردة"¹، وهذا ما يراد بالمعنى الوظيفي، فدلالة الكلمة " وقوّتها التعبيرية، وفعلها في دلالة النص الذي وردت فيه، وحركته لا يتأتّى من معناها المعجمي وحده لكونه معنى مفتوحاً، ومطلقاً، وعائماً، وغير محدّد، بل يتأتّى من طبيعة السياق اللغوي الذي ترد فيه محكوماً بالسياق المقامي أو الحالي أو السياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه بعناصره وظروفه وملابساته"².

وقد بيّن علماؤنا القدامى من قبل " أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة اللفظة لمعنى يليها"³، ويؤكد عبد القاهر الجرجاني هذا القول في موضع آخر من كتابه دلائل الإعجاز، حيث يقول: " إنّ الألفاظ المفردة التي هي من أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها من فوائد"⁴.

وللأداة في اللغة العربية وظائف متعدّدة داخل التركيب، فتؤثّر فيما يجاورها من كلمات، كما يتحدّد معناها وفق مجموعة من القرائن داخل السياق اللغوي، وعلى هذا الاعتبار فإنّ صنفاً من الأدوات يتعدّد معناه الوظيفي باتجاهين:⁵

¹ - الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، ص 52.

² - نحر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط1، 2007، ص 296.

³ - دلائل الإعجاز، تح: الفقي سعد كريمة، دار اليقين، مصر، 2001، ص 55.

⁴ - نفس المصدر، تح: التونجي محمد، ص 391.

⁵ - الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، ص 58.

- الأولى: تعدّد المعنى الوظيفي لمبنى الأداة ضمن الإطار العام، والوظيفة الأساسية التي تؤدّيها وهي (التعليق).

- الثاني: تعدّد المعنى الوظيفي للأداة، بخروجها عن الإطار العام والوظيفة الرئيسية، فتنهض بأداء وظائف أخرى، تستفاد من السياق وتحددها القرائن.

فالأداة يتعدّد معناها الوظيفي ويختلف دورها بحسب السياقات المتنوّعة التي ترد فيها، وبعبارة معاكسة: للسياق دوره الخطير في تحديد دلالة الأداة وإبراز وظيفتها.

في نهاية هذا الفصل نتوصّل إلى أنّ موضوع الأداة ليس بموضوع جديد ، وإنما حظي بعناية علماء اللغة و النُّحاة القدماء ، حتّى إنّهم ألّفوا فيه الكتب وأجادوا في تبويبها وتصنيفها وترتيبها ، وكان هذا بمثابة الأرضية التي انطلق منها اللغويون المحدثون حيث ساروا في هذا وفق ما سطره القدماء ووافقهم في الكثير من القضايا أبرزها أن الأداة مفهوم واسع يشمل الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف وبعض النواسخ...

كما أن للأداة سمات وخصائص تميزها عن باقي أقسام الكلم تعود في مجملها للمبنى و المعنى كالترتبة والصدارة والرسم الإملائي... وأهم ميزة تتحلّى بها الأداة هي التعليق، إذ هو الوظيفة الجوهرية التي يستعان بها في ربط أجزاء الجملة .

ثم إن لكل طائفة من الأدوات معنى خاص كالاستفهام والنفي و الشرط والتأكيد... سميت الأدوات باسمه، وما تلبث هذه الأدوات أن تتجمل بمعان ودلالات إضافية فتحدث إشكالا في انتقاء الدلالة المقصودة من الكلام، فيتدخل السياق كونه أهم قرينة دلالية ليفصل في هذا الأمر .

الفصل الثاني

نماذج وتطبيق

1- أدوات الاستفهام

2- أدوات الشرط

3- أدوات النفي

يمثل هذا الفصل الجانب التطبيقي للبحث ، ولأنّ الأدوات النحوية في اللغة العربية كثيرة و متعددة لا يتسع المجال للوقوف عند كل منها ، اخترت ثلاث فئات : أدوات الاستفهام وأدوات الشرط وأدوات النفي ، مقتصرًا على الهمزة و (هل) في الاستفهام ، و(إن) و(لو) في الشرط .

ولما كان القرآن الكريم خطابًا لغويًا رفيع المستوى من كلّ النواحي ممثلًا أعلى درجة في الفصاحة و البلاغة أردت اعتماد بعض آياته مدوّنة لبحثي، فقد حاولتُ تطبيق ما تناولته من مفاهيم نظريّة في الفصل الأوّل على هذه الآيات . و لئن كانت جوانب الدّراسة نحويّة بلاغية دلالية إلاّ أنّه لا يمكن الإمام بالموضوع و خاصّة و أنّي اقتصرت على عدد زهيد من الآيات القرآنية.

أدوات الاستفهام:

يعد الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية الطليية، فهو أسلوب لغوي قائم على طلب الفهم، ففي معجم التعريفات؛ هو: "استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصوّر"⁽¹⁾.

وهذه الصورة الذهنية "تتعلق أحيانا بمفرد، شخص، أو شيء، أو غيرهما، وتتعلق أحيانا بنسبة، أو بحكم من الأحكام، سواء كانت النسبة قائمة على يقين، أم على ظن، أم على شك"⁽²⁾.
فإذا كان المستفهم يستعلم عن نسبة يجهل تحققها، فلا بد أن تكون هذه النسبة خبرا، مثبتا كان أو منفيًا، لأنه لا يستفهم عن طلب ولا عن إنشاء...⁽³⁾.

ولتأدية هذه الوظيفة اللغوية يستخدم المستفهم مجموعة من الأدوات:⁽⁴⁾

- أ- بعضها أصل في الاستفهام: وهو "الهمزة" و "هل".
- ب- وبعضها الآخر كنايات، حملت على "الهمزة"، و "هل"، حملا، ويستفهم بها عن المفرد، وهي: ما، من، أي، كم، كيف، أي، أين، متى، أيان، كما أن لهذه الكنايات استعمالات أخرى أكثرها في غير الاستفهام.

¹ - معجم التعريفات، ج 1 ص18.

² - المخزومي مهدي، في النحو العربي -نقد و توجيه-، ص264.

³ - ينظر: نفس المرجع، ص 264-265.

⁴ - ينظر: نفس المرجع، ص265-270.

❖ الهمزة:

"الهمزة" أمّ هذا الباب؛ وهي أصل أدوات الاستفهام⁽¹⁾؛ وذلك أنّها تلزمه وتقع موقعا لا يقع غيرها فيه؛ ولأنّها كذلك جعلها تخصّ بمجموعة من الأحكام:⁽²⁾

-جواز حذفها على خلاف باقي الأدوات لأنّ حذفها يذهب بالدلالة على الاستفهام؛ كقول الكميّ بن زيد:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مّي، وذو الشيب يلعب

أراد: أو ذو الشيب يلعب؟

وكقول عمرو بن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا: تحبّها؟ قلت: بهرا عدد الرّمل والحصى والتراب

فقليل: أراد: أتحبّها؟

-أنّها ترد لطلب التصرّو؛ نحو: أزيد عندك أم عمرو؟، ولطلب التصديق؛ نحو: أزيد قائم؟

وتختصّ "هل" بطلب التصديق؛ نحو: هل قام زيد؟ أمّا بقية الأدوات فمختصة بطلب التصرّو.

-تدخل "الهمزة" على النفي كما تدخل على الإثبات؛ نحو: ألم يقم زيد؟ وغيرها لا يدخل إلا على الإثبات خاصّة.

-تمام التصدير؛ فلا يتقدّم على "الهمزة" شيء من الجملة المستفهم عنها...؛ لأنّك إذا قدّمت شيئا

من الجملة خرج عن حكم الاستفهام، ومن تمام الجملة، حتّى وإن كان ذلك الشيء (واو العطف وفاءه،

وتمّ)، نحو: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الروم 9، ((أفلا

تعقلون)) آل عمران 65، (أثمّ إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون) يونس 51، بخلاف

سائر الأدوات التي لا تتقدّم العاطف بل تتأخّر عنه.

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 1 ص 74، مع الهوامع ج 2 ص 182، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 31، شرح الكافية، ج 4 ص 447.

² - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 1 ص 74.

* خروج "الهمزة عن الاستفهام":

قد تخرج "الهمزة" عن الاستفهام الحقيقي فتزد لمعان آخر، وبذلك يكتسي الاستفهام أغراضا بلاغية مختلفة، ويرجع تحديد الغرض المقصود إلى السياق أو المقام؛ ومن بين المعاني أو الأغراض التي تخرج إليها همزة الاستفهام: (1)

-التسوية: كقوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

-الإنكار (الابطالي/التويخي): فالأول نحو قوله تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ

الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) الإسراء -40-، والثاني نحو قوله أيضا: ((أغير الله ترجون))

-التقرير: نحو قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الشرح -1- .

-التهكم: كقوله تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ

فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) هود-87- .

-الأمر: نحو: ((أأسلمتم))، أي: أسلموا

التعجب: كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا

الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) الفرقان -45- .

-الاستبطاء: كقوله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ

الْحَقِّ) الحديد -16- .

-التويخ: كقوله تعالى: ((أأذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا))

-التحقيق: كقول جرير:

ألستم خير من ركب الخطايا وأندى العالمين بطون راح

-التهديد: كقوله تعالى: ((ألم تهلك الأولين))

-التنبيه: كقوله تعالى: ((ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء))

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1 ص90-97، الجني الداني في حروف المعاني، ص32/33، همع الهوامع، ج2 ص482/483.

*همزة الاستفهام "حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال"⁽¹⁾، فإن بدأت بالفعل وقلت: أفعلت؟، "كان الشكّ في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشكّ في الفاعل من هو، وكان التردد فيه"⁽²⁾.

وهذا الأمر معلوم في اللغة العربية، فلا يقدم شيء ويؤخر آخر إلا وفي نفس المتكلم غرض يرمي إليه.

❖ هل :

هل : "حرف استفهام تدخل على الأفعال والأسماء، لطلب التصديق الموجب، لا غير؛ نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قائم؟"⁽³⁾، "دون التصوّر، ودون التصديق السلبي، فيمتنع؛ نحو: هل زيدا ضربت؟ لأنّ تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة، ونحو: هل زيد قائم أم عمرو؟"⁽⁴⁾

الأداة "هل" كنظيرتها "الهمزة" الأصل فيها الاستفهام، وقد ترد لمعان آخر:⁽⁵⁾

- تأتي بمعنى "قد"، كقوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) الانسان2.

- النفي: كقوله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، أي: بمنزلة ما النافية.

- الأمر: كقوله تعالى: ((فهل أنتم منتهون)) المائدة91، فهذا صورته في الاستفهام، ومعناه الأمر، أي: انتهوا.

❖ الفرق بين الهمزة وهل:

الهمزة وهل حرفان يدلّان على الاستفهام، إلاّ أنّه لكلّ حرف خصائص تميّزه عن غيره، فالاستفهام بالهمزة ليس كالاستفهام بـ "هل"؛ وذلك من جوانب عدّة، أبرزها:⁽⁶⁾

- 1 - الجنى الداني في حروف المعاني، ص30.
- 2 - دلائل الإعجاز ص 111.
- 3 - الجنى الداني في حروف المعاني، ص341.
- 4 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج4 ص324.
- 5 - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص343-345.
- 6 - ينظر: شرح الكافية، ج4 ص446-450، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2 ص325-336، الجنى الداني في حروف المعاني، ص342/343.

- تأتي الهمزة للتصديق والتصوّر، بينما تختصّ (هل) بالتصديق وبالإيجاب.
 - تدخل الهمزة و(هل) على الجملة الاسمية والفعلية، إلا أنّ الهمزة تدخل على كلّ اسمية، سواء كان الخبر اسماً أو فعلاً، في حين أن (هل) لا تدخل إلا على اسمية خبرها فعل، أي: لا تدخل على اسم بعده فعل.

- تتقدّم الهمزة فاء العطف وواوه وثمّ، بخلاف (هل) التي بعد العاطف لا قبله.
 - لا تعاد الهمزة بعد (أم)، بخلاف (هل) التي يجوز أن تعاد وألاً تعاد.
 - يراد بالاستفهام بـ(هل) النفي، ولذلك يعيّن دخول إلا، كقوله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)

- تدخل الهمزة على (إنّ) ، كقوله تعالى: ((قالوا أأنّك لأنّك يوسف)) كما تدخل على الشرط، نحو قوله تعالى: ((أفإنّ متّ فهم الخالدون))، وكلا الأمران يستحيل وقوعهما مع (هل).
 - إذا دخلت الهمزة على المضارع فإنّ السؤال يكون عن أمر حاليّ، في حين تخصّ (هل) المضارع بالاستقبال.

➤ نماذج تطبيقية:

1- الهمة:

أ/ قال عزّ وجلّ: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) هود 87.

-لما أمر شعيب عليه السلام قومه بعبادة الله وتوحيده، ونبذ عبادة الأصنام، وبإيفاء الكيل والميزان، ردّوا عليه على سبيل السخرية والاستهزاء بقولهم: أصلواتك؟، وكان كثير الصلاة، وكان إذا صلّى تغامزوا وتضاحكوا، ونسبة الأمر إلى الصلاة هو على وجه المجاز، وإمّا سبق كذلك على سبيل التهكم بصلاته⁽¹⁾.
فلاستفهام الوارد في هذه الآية ليس باستفهام حقيقي، وإمّا اكتست الهمة فيه معنى إضافيا فرضه السياق وهو سياق التهكم والسخرية، والذي يؤكّد هذا جملة: (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) التي هي استئناف تهكم آخر، ف "الحليم زيادة في التهكم: ذو الحلم أي العقل، والرشيد: الحسن التدبير في المال"⁽²⁾، وقد جاءت هذه العبارة مؤكّدة ب: إنّ ولام القسم وبصيغة القصر دلالة على المبالغة في التهكم.

ب/ قال عزّ وجلّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) الحجرات

في الاستفهام (أُحِبُّ أَحَدُكُمْ) تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفضع وجه وأفحشه⁽³⁾.

والاستفهام هنا "تقريري لتحقق أنّ كلّ أحد يقرّ بأنّه لا يحبّ ذلك، ولذلك أوجب الاستفهام بقوله (فكرهتموه)، وإمّا لم يرد الاستفهام على نفي محبة ذلك بأن يقال: ألا يحبّ أحدكم، كما هو غالب الاستفهام التقريري، إشارة إلى تحقّق الإقرار المقرّر عليه بحيث يترك للمقرّر مجالا لعدم الإقرار ومع ذلك لا يسعه إلاّ الإقرار"⁽⁴⁾.

¹ - الأندلسي أبو حيّان ، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1413هـ-1993م، ج 5 ص 253.

² - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984، ج 12 ص 142.

³ - الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوض وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض السعودية، ط 1418هـ-1998م، ج 5 ص 584.

⁴ - التحرير والتنوير، ج 26، ص 254/255.

ففي هذا الكلام مبالغة، فالاستفهام التقريبي يقع على أمور مسلم بها عند المخاطب وبهذا لا يمكنه الإنكار.

فكان الاستفهام بالهمزة الذي غرضه التقرير أحسن استعمالاً وأشدّ بياناً وأنسب لمعنى الآية وسياقها من أيّ أسلوب آخر.

2- هل:

أ/ قال الله تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِزِّ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) هود 14.

إنّ (هل) في هذه الآية مع أنّها أداة استفهام، لم ترد للسؤال وانتظار الإجابة، بل خرجت إلى معنى آخر لا يتوصّل إليه إلا باستعمالها.

ومعنى (هَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ): "مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجّة القاطعة"⁽¹⁾، فالاستفهام "مستعمل في الحثّ على الفعل وعدم تأخيره"⁽²⁾، أي أنّ الغرض منه "الأمر"، أي: أسلموا. وجيء بالجملة الاسمية الدلّة على دوام الفعل وثباته، ولم يقل (فهل تسلمون) لأنّ "حالة عدم الاستجابة تكسب اليقين بصحّة الإسلام فتقتضي تمكّنه من النفوس وذلك التمكّن تدلّ عليه الجملة الاسمية"⁽³⁾.

قال عزّ وجلّ: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) الانسان 1.

قال ابن عبّاس وقتادة: إنّ هل هنا بمعنى قد، قيل: لأنّ الأصل أهل فكأنّ الهمزة حذفت واجتزأ بها في الاستفهام... فالمعنى: قد أتى على التقدير والتقريب جميعاً، أي: أتى (على الانسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر) لم يكن كذا فإنّه يكون الجواب أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكور⁽⁴⁾.

ولقد استهلّت السورة بالاستفهام حتّى تشوّق المخاطب وتثير فضوله لمعرفة ما يأتي بعده من الكلام، فهو تمهيد وتوطئة للكلام الذي يليه.

¹ - الكشف ، ج 3 ص 188.

² - التحرير والتنوير، ج 12، ص 22.

³ - نفس المصدر ، نفس الجزء ، نفس الصفحة.

⁴ - تفسير البحر المحيط، ج 8 ص 385.

ويبين ابن عاشور أنّ (هل) "حرف يفيد الاستفهام ومعنى التحقيق، وقال جمع أصل (هل) إنّها في الاستفهام مثل (قد) في الخبر وبملازمة (هل) الاستفهام كثر في الكلام حذف حرف الاستفهام معها فكانت فيه بمعنى (قد)، وخصّت بالاستفهام فلا تقع في الخبر، ويتطرق إلى الاستفهام بها ما يتطرق إلى الاستفهام من الاستعمالات"⁽¹⁾.

وهذا المعنى لا يحصل إلاّ بجمل الاستفهام على معنى التقرير، والمعنى: "هل يقرّ كلّ إنسان موجود أنّه كان معدوما زمانا طويلا، فلم يكن شيئا يذكر، أي لم يكن يسمّى ولا يتحدث عنه بذاته"⁽²⁾.

¹ - تفسير التحرير والتنوير، ج 29 ص 372.

² - نفس المصدر، نفس الجزء، نفس الصفحة.

أدوات الشرط:

الشرط أسلوب لغوي يعني "تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأوّل وجد الثاني"⁽¹⁾، وهذا يعني أنّ في الكلام جزأين متعلّقين ببعضهما البعض، ف "الأوّل: منزل منزلة السبب، والثاني: منزل منزلة المسبّب، يتحقّق الثاني إذا تحقّق الأوّل، وينعدم الثاني إذا انعدم الأوّل"⁽²⁾.

فجملة الشرط تتكوّن من عبارتين لا استقلال لإحدهما عن الأخرى، تسمّى العبارة الأولى شرطا، وتسمّى العبارة الثانية جوابا أو جزاء، والذي يؤدي دور الربط أو التعليق هو الأداة ومنه، فإنّ نظام جملة الشرط كالآتي:

أداة شرط + عبارة الشرط + عبارة الجواب

وتنقسم أدوات الشرط إلى قسمين:⁽³⁾

1- أدوات تدلّ على الشرط أصالة؛ وهي: إن، إذا، ولو.

2- كنايات تدلّ على الأشخاص، والأشياء، والأزمنة، والأمكنة، والأحوال، ولكنها تستعمل استعمال الأدوات، في الشرط بتعليق الجواب على الشرط، وهذه الكنايات كثيرة منها: ما، من، مهما، أيّ، أين، متى، أيّان، كيف، أنّي، حيثما.

وهذه الأدوات منها ما هو ظرف ومنها ما هو اسم ومنها ما هو حرف وإنّما اشتركت لاشتغال معنى الشرط على جميعها.

ف "حرفها في الأصل (إن) وهذه كلّها دواخل عليها لاجتماعها، وكلّ باب فأصله شيء واحد، ثمّ تدخل عليه دواخل، لاجتماعها في المعنى"⁽⁴⁾.

❖ إنّ :

اتّفق النحاة على أنّ (إنّ) أمّ باب الشرط وأمّ الكلمات الشرطية⁽⁵⁾، فهي " ليست باسم ولا فعل، إنّما هي حرف، تقع على كلّ ما وصلت به، زمانا كان أو مكانا أو آدميا و غير ذلك.

1 - معجم التعريفات ، ج 1 ص 108.

2 - في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 284.

3 - ينظر: نفس المرجع ، ص 290-295.

4 - المبرّد محمد بن يزيد ، المقتضب، تح: عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ط3، 1994، ج 2، ص 45.

5 - ينظر: شرح الكافية، ج 4 ص 86 / شرح المفصل، ج 5 ص 106 / الجني الداني في حروف المعاني، ص 208.

تقول: إن يأتي زيد آته، وإن لم يقم في مكان كذا وكذا أقم فيه، وإن تأتني يوم الجمعة آتك فيه⁽¹⁾.
 (إن) أصل الجزاء، لأنك تجازي بها في كلّ ضرب منه، ويؤتى بها في موضع "عدم القطع في الأشياء الجائز
 وقوعها وعدم وقوعها"⁽²⁾، "فمخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر"⁽³⁾.

وتدخل (إن) على جملتين فتربط إحداهما بالأخرى وتعقدتهما وتصيرهما كالجملّة الواحدة، ولأنّها أمّ
 أدوات الشرط جاز حذف الشرط والجواب بعدها فيقتصر عليها ويوقف عندها، نحو قول الشاعر:

قالت بنات العمّ يا سلمى وإن كان فقيرا معدما قالت وإن
 وتعدّ (إن) من الأدوات العاملة، فإذا دخلت على فعلين مضارعين جزمتهما.

❖ لو:

إنّ (لو) تدلّ على ثلاثة أمور: "عقد السببية والمسببية، وكوئهما في الماضي، وامتناع
 السبب"⁽⁴⁾.

وقولهم: إنّ (لو) حرف امتناع لامتناع هو قول فاسد عند المرادي و عند مجموعة من النحويين، وهي
 حرف "يدلّ على تعليق فعل بفعل، فيما مضى، فيلزم من تقدير حصول شرطها، حصول جواها، ويلزم
 كون شرطها محكوم بامتناعه"⁽⁵⁾.

والأصحّ أن يقال: (لو) حرف يدلّ على امتناع الثاني لامتناع الأوّل، وهذا القول يستقيم على
 وجهين: "الأوّل أن يكون المراد أنّ جواب (لو) ممتنع، لامتناع الشرط، غير ثابت لثبوت غيره... والثاني أن
 يكون المراد أنّ جواب (لو) ممتنع، لامتناع شرطه، وقد يكون ثابتا لثبوت غيره"⁽⁶⁾.

ويتعلّق بـ(لو) الامتناعية مسائل منها:⁽⁷⁾

- أنّها مثل (إن) الشرطية في الاختصاص بالفعل، فلا يليها إلاّ فعل، أو معمول فعل مضمر.

1 - المقتضب، ج 2، ص 52.

2 - شرح الكافية، ج 4، ص 87.

3 - المقتضب، ج 2، ص 55.

4 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 3، ص 374.

5 - الجنى الداني في حروف المعاني، ص 274.

6 - نفس المصدر، ص 276.

7 - ينظر: نفس المصدر، ص 278-284.

- تنفرد (لو) بمباشرة (أن) ؛ كقوله تعالى: ((ولو أنهم صبروا)) التي يلزم أن يكون خبرها فعلا.
- (لو) الامتناعية تصرف المضارع إلى الماضي وهي في هذا عكس (إن) الشرطية.
- لا يكون جواب (لو) إلاّ فعلا ماضيا، مثبتا، أو منفيّا ب(ما)، أو مضارعا مجزوما ب(لم)، والأكثر في الماضي اقترانه بالماضي.

- قد ترد (لو) بمعنى (إن) الشرطية، فتصرف الماضي إلى الاستقبال.

❖ الفرق بين (إن) و (لو):

- (إن) و(لو) حرفان يدخلان على جملتين، فيجعلان الأولى شرطا والثانية جزاء، خلا أنّ (إن) الجزائية حقّها "أن يليها المستقبل من الأفعال، لأنّها تشتط فيما يأتي أن يقع شيء لوقوع غيره، فإن وليها فعل ماض، أحالت معناه إلى الاستقبال، وذلك قولك (إن قمت قمت)، والمراد (إن تقم أقم)"⁽¹⁾.
- و أما (لو) "إذا وقع بعدها المستقبل أحالت معناه إلى الماضي، نحو قوله تعالى: ((لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم)) أي: (لو أطاعكم)، فهي خلاف (إن) في الزمان"⁽²⁾.
- وكلمة (إن) لأصالتها في الشرط وكونها أمّ الباب، جاز أن تدخل اختيارا على الاسم، بشرط أن يكون بعده فعل، وكذا (لو) بخلاف سائر الأدوات، وحقّ الفعل الذي يكون بعد الاسم الذي يلي (إن)، أن يكون ماضيا، سواء كان ذلك الاسم مرفوعا أو منصوبا⁽³⁾.

❖ إذا :

- تدلّ الأداة (إذا) على الشرط بغض النظر عن كونها ظرفاً أم لا ، لأنّها تضارع أدوات الشرط فتدخل على الفعل و جوابه ، و "إنّما منع أن يُجازى بها لأنّها مؤقتة و حروف الجزاء مبهمة ، ألا ترى أنّك إذا قلت : إنّ تأتني آتك ، فأنت لا تدري أيقع منه إتيان أم لا؟ و كذلك من آتاني آتيته ، إنّما معناه : إنّ يأتيني واحد من الناس آته ، فإذا قلت : إذا آتيتني وجب أن يكون الإتيان معلوما"⁽⁴⁾.

1 - شرح المفصل، ج5، ص106.

2 - نفس المصدر، ج5، ص107.

3 - ينظر: شرح الكافية، ج4، ص91 وما بعدها.

4 - المقتضب ، ج2، ص54.

ف(إذا) تستعمل في المقطوع وقوعه ، ففي قوله عزّ وجلّ : (إذا السماء انفطرت)، و(إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انشقت) أمور واقعة لا محالة، و " لا يجوز أن يكون في موضع هذا (إن) لأنّ الله عزّ و جلّ-يعلم ، و إنّ إنّما مخرجها الظن و التوقع فيما يخبر به المخبر"¹.

➤ نماذج تطبيقية:

1- (إن):

قال الله تعالى: **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ** (الأنفال 38).

جاء في الكشاف: "إن ينتهوا عمّا هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتاله بالدخول في الإسلام (يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ): لهم من العداوة (وإن يعودوا): لقتاله (قَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ): منهم الذين حاق بهم مكربهم يوم بدر، أو: فقد مضت سنة الذين تحزّبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا، فليتوقّعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا... (وإن يعودوا): الارتداد"⁽²⁾.

وردت (إن) الشرطية في هذه الآية مرّتين:

- الأولى: إن + (الشرط: ينتهوا) + (الجواب: يغفر لهم)

فإذا تمّ الانتهاء استلزم تنفيذ الغفران.

و في هذه العبارة "محسّن بدعيّ وهو الاتزان لأنّه في ميزان الرجز"⁽³⁾، وعمل (إن) يظهر جلياً من خلال حذف النون في (ينتهوا)، والسكون الظاهر في (يغفر)، ف(إن) من الأدوات التي تجزم فعلين مضارعين.

- الثانية: إن + يعودوا (الشرط) + فقد مضت سنة الأولين(الجواب)

إلا أنّ أبا حيّان الأندلسي يرى أنّ (فقد مضت سنة الأولين) ليست بجواب للشرط، بل ذلك "دليل على الجواب، والتقدير: وإن يعودوا انتقمنا منهم وأهلكناهم فقد مضت سنة الأولين"⁽⁴⁾.

¹ - نفس المصدر ، نفس الجزء ، ص55.

² - الكشاف ، ج2، ص580/581.

³ - التحرير والتنوير، ج9، ص345.

⁴ - تفسير البحر المحيط، ج4، ص489.

2- لو:

قال الله تعالى: (وَأَلْيَسَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) النساء 9.

وردت هذه الآية في شأن أموال اليتامى وأموال الضعاف من النساء والصبيان، فجاءت كموعظة استهلّت بالأمر وبخشية الله، والمأمور: الذين "المراد بهم: الأوصياء، أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حوزتهم من اليتامى ويشفقوا عليهم، خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوّروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرّحمة"⁽¹⁾.

وجملة (لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ) صلة الموصول، وإثما جيء بالموصول "لأنّ الصلة لما كانت وصفا مفروضا حسن التعريف بها إذ المقصود تعريف من هذه حاله، وذلك كاف في التعريف للمخاطبين بالخشية إذ كلّ سامع يعرف مضمون هذه الصلّة لو فرض حصولها له، إذ هي أمر يتصوّره كلّ النّاس"⁽²⁾.

وأداة الشرط المذكورة في هذه الآية هي (لو):

لو + الشرط (تركوا من خلفهم) + الجواب (خافوا عليهم)

و وجه اختيار (لو) هنا من بين أدوات الشرط أنّها هي "الأداة الصالحة لغرض الشرط من غير تعرّض لإمكانه، فيصدق معها الشرط المتعدّر الوقوع والمستبعد والممكن: فالذين بلغوا من الولادة ولهم أولاد كبار أو لا أولاد لهم، يدخلون في فرض هذا الشرط لأنّهم لو كان لهم أولاد صغار لخافوا عليهم، والذين لهم أولاد صغار أمرهم أظهر"⁽³⁾.

1 - الكشاف، ج 2 ص 30/29.

2 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 252.

3 - نفس المصدر، نفس الجزء، ص 253/252.

فانتقاء الأداة المناسبة لتأدية الغرض المقصود ليس بالأمر الهين والبسيط، بل يجب أن يتواءم اختيار الأداة والمعنى المراد الوصول إليه في سياق معيّن.

أدوات النفي:

النفي هو "عبارة عن ترك الفعل"⁽¹⁾، وهو "قسم من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب، قيل بل هو شطر الكلام كلّ، (...). ثمّ إنّ النفي في الماضي إمّا أن يكون نفياً واحداً أو مستمراً أو نفياً فيه أحكام متعدّدة، و كذلك في المستقبل، فصار النفي أربعة أقسام واختاروا له أربعة كلمات ما ولم ولن ولا"⁽²⁾. فهو أسلوب لغويّ يقابل الإثبات في اللغة العربية، "تحدّده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلّم، من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأً ممّا اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي، ويأخذى طرائقه المتنوعة في الاستعمال"⁽³⁾.

فالمتكلّم يخضع لمقاصده وما تمليه ملاسبات القول ومناسباته، في انتقائه لأداة من أدوات النفي، فكلّ أداة لها معنى خاص بها واستعمال يليق بها حسب الدلالة التي يفرضها السيّاق.

وأدوات النفي في اللغة العربية قسمان:⁽⁴⁾

- 1- بعضه مفرد، وهو: لا، ما، إن.
- 2- بعضه مركّب، وهو: لم، لما، لن.

1 - معجم التعريفات، ج 1 ص 205/206.

2 - كشاف اصطلاحات الفنون، ج 2 ص 1722.

3 - في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 246.

4 - نفس المرجع، ص 248/247.

*الأدوات المفردة:❖ "لا" النافية:

(لا) و(ما) أداتا نفي أصليتان وأهم أدوات النفي، و(لا) أشمل من أختها⁽¹⁾.
فأما (لا) النافية فتلاثة أقسام:⁽²⁾

- العاملة عمل (إنّ)، وهي (لا) النافية للجنس، نحو قوله تعالى: ((لا ريب فيه)).
- العاملة عمل (ليس)، كقول الشاعر:

تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر ممّا قضى الله واقيا

- النافية غير العاملة، ولها ثلاثة أنواع: عاطفة، وجوابية، وغيرهما، أمّا العاطفة فتشترك في الإعراب دون المعنى وتعطف بعد الإيجاب وبعد الأمر... والمعطوف ب(لا) إمّا مفرد، وإمّا جملة لها محلّ من الإعراب، وإذا وقع بعد (لا) جملة ليس له محلّ من الإعراب لم تكن عاطفة ولذلك يجب تكرارها.
أمّا الجوابية فهي أن تكون جوابا مناقضا ل(نعم)، و هذه تحذف الجمل بعدها ، أي تنوب مناب الجملة ، كأن يقال: أجبك زيدا؟، فنقول: لا، والأصل لم يجء.

و النافية غير العاطفة والجوابية، فإنّها تدخل على الأسماء والأفعال، فإذا دخلت على السماء فيليها المبتدأ، والخبر المقدّم، ويجب تكرارها في ذلك، وإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يكون مضارعا، وقد تدخل على الماضي قليلا.

❖ "ما" النافية:

ما: حرف نفي، "تقع مبتدأة، وتنفي ما يكون في الحال، وما لم يقع، قلما خلصت في معنى (ليس) ودلّت على ما تدلّ عليه، ولم يكن بين نفيهما فصل البتّة حتى صارت كلّ واحدة تغني عن الأخرى أجروها مجراها"⁽³⁾، وهذا معمول به عند أهل الحجاز، أمّا بنو تميم "فيقولون: ما زيد منطلق، يدعونها حرفا على حالها بمنزلة (إنّما) إذا قلت إنّما زيد منطلق"⁽⁴⁾.

ف(ما) النافية صنفان: عاملة وغير عاملة.

¹ - ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 248.

² - ينظر: مغني اللبيب، ج 3 ص...، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 290 وما بعدها.

³ - المقتضب، ج 4 ص 188.

⁴ - نفس المصدر، نفس الجزء، نفس الصفحة.

فالعامة: هي (ما) الحجازية التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، "وإنما عملت عندهم، مع أنّها حرف لا يختصّ، والأصل في كلّ حرف لا يختصّ أنّه لا يعمل، لأنّها شابهت (ليس) في النفي، وفي كونها لنفي الحال غالباً وفي دخولها على جملة اسمية"⁽¹⁾.

وحتىّ تعمل (ما) الحجازية لا بدّ من توفّر مجموعة من الشروط:⁽²⁾

- تأخّر الخبر، فلو تقدّم بطل عملها.

- بقاء النفي فلو انتقص النفي بـ إنّ بطل العمل، كقوله تعالى: ((وما محمد إلا رسول)).

- فقد (إنّ)، فلو وجدت (إنّ) بعد (ما) بطل عملها، نحو: ما إن زيد قائم.

- ألاّ يتقدّم غير ظرف، أو جار ومجرور، من معمول خبرها، فإن تقدّم غيرها بطل العمل، نحو: ما طعامك زيداً أكل.

و أمّا (ما) النافية غير العاملة فهي "الداخلة على الفعل، نحو: ما قام زيد، وما يقوم عمرو، فهذه لا خلاف بينهم في أنّها لا عمل لها، وإذا دخلت على الفعل الماضي بقي على مضيه، وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال"⁽³⁾.

❖ "إنّ" النافية:

(إنّ) أداة نفي تدخل على الجمل الاسمية، نحو قوله تعالى: ((إن الكافرون إلاّ في غرور))، كما تدخل على الجمل الفعلية؛ كقوله تعالى: ((إن يتبعون إلاّ الظن)).

وهي من الحروف "التي لا تختصّ"، فكان القياس ألاّ تعمل فلذلك منع إعمالها الفراء، وأكثر البصرية والمغاربة وعزي إلى سيبويه، وأجاز إعمالها الكسائي، وأكثر الكوفيين وابن السراج والفرسي، وابن جني، وابن مالك، لمشاركتها (ما) في النفي وكونها لنفي الحال وللسماع"⁽⁴⁾.

وبهذا تكون (إنّ) النافية على ضربين: عاملة، وغير عاملة، فالعاملة تعمل عمل (ما) فترفع الاسم وتنصب الخبر، وقد رجّح المرادي جواز إعمالها، لثبوتها نظماً ونثراً، مستدلاً بقراءة سعيد بن جبير

¹ - الجنى الداني في حروف المعاني، ص 323/322.

² - ينظر: نفس المصدر، ص 323-329.

³ - نفس المصدر، ص 329.

⁴ - همع الهوامع، ج 1، ص 394.

((إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم))⁽¹⁾. وأمّا غير العاملة فوجودها كثير، كقوله تعالى: ((إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم))، وكقوله تعالى: ((إن الكافرون إلا في غرور)).

*الأدوات المركبة:

❖ "لم" و "لما":

(لم) "حرف جزم، لنفي المضارع، وقلبه ماضيا، نحو قوله تعالى: ((لم يلد ولم يولد))"⁽²⁾، و(لما) كذلك "تختصّ بالمضارع، فتجزمه، وتنفيه، وتقلبه ماضيا ك(لم)"⁽³⁾.

ف(لم) و(لما) أداتا نفي "مختصتان بالفعل، لا تدخلان على غيره، و(يُفعل) خاصّة، فلا تدخلان على (فعل)، وتدلّ (يُفعل) معها على نفي وقوع الفعل في الماضي"⁽⁴⁾، إلا أنّ هناك فرقا بين قولنا: لم يفعل، وقولنا: لما يفعل، فالعبارة الأولى "نفي (فعل)، و(لما يفعل) نفي (قد فعل) فإزدادت في معناها أن تضمّنت معنى التوقّع والانتظار، واستطال زمان فعلها"⁽⁵⁾.

-وتفترق (لم) عن (لما) في أمور أخرى أهمّها:⁽⁶⁾

*المنفي ب(لم) لا يلزم اتّصاله بالحال، بل قد يكون منقطعا، نحو قوله تعالى: ((هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا))، وقد يكون متصلا، نحو قوله تعالى: ((ولم أكن بدعائك ربّ شقيّا))، بخلاف (لما) فإنّه يجب اتّصال نفيها بالحال.

*لا تقترن (لما) بأداة شرط، فلا يقل: إن لما تقم، وفي التنزيل: ((وإن لم تفعل)).

*منفيّ (لما) جائز حذفه اختيارا، ولا يجوز حذفه بعد (لم).

*قد يفصل بين (لم) ومجزومها اضطرارا، وهي تنفرد بهذه الخاصية، بينما (لما) لم يأت فيها ذلك.

*قد يلغى عمل (لم) بخلاف (لما) التي لم يرد فيها هذا.

1 - الجنى الداني في حروف المعاني، ص 209.

2 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 3 ص 467.

3 - نفس المصدر، نفس الجزء، ص 477.

4 - في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 254.

5 - شرح المفصل، ج 5 ص 34.

6 - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 269-268، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 3 ص 477-483، شرح الكافية،

ج 4 ص 82-83.

*منفيّ (لما) متوقّع ثبوته بخلاف منفيّ (لم).

❖ "لنّ" النافية:

(لن) حرف نفي، ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال⁽¹⁾، وقد ذكر الزمخشري أنّ (لن) أبلغ في النفي من (لا) وآكد⁽²⁾، إلا أنّ المرادي بيّن عكس ذلك، فقال: إنّ النفي ب(لا)، "قد يكون أكد من النفي ب(لن)، لأنّ المنفيّ ب(لا) قد يكون جواباً للقسم، والمنفيّ ب(لن) لا يكون جواباً له، ونفي الفعل إذا أقسم عليه أكد"⁽³⁾.

وقد زعم الزمخشري أنّ (لن) تفيد تبديد النفي، وهي دعوى بدون دليل، قيل: لو كانت للتأييد لم يقيّد منفيّها باليوم، في قوله تعالى: ((فلن أكلم اليوم إنسيّاً))⁽⁴⁾.

1 - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 270، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 3 ص 501، همع العوامع، ج 2 ص 286، شرح المفصل، ج 5 ص 37.

2 - شرح المفصل، ج 5 ص 37.

3 - الجنى الداني في حروف المعاني، ص 270.

4 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 3 ص 505، وينظر: همع الهوامع، ج 2، ص 287.

➤ نماذج تطبيقية:

1- (لا):

في قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)) سورة الكافرون

فسر ابن القيم هذه السورة مقسّما إياها مسائل:

*فائدة تكرار الأفعال، فقد رأى أنه لا وجود للتكرار في هذه السورة وأنه اشتملت قسام النفي ماضيا وحالا ومستقبلا، عن عبادته صلى الله عليه وسلم وعبادة الكفار، بأوجز لفظ وأخصره وأبينه، وقال إنّ فيها وجوها لكنّه اقتصر على أحسنها: "أنّ قوله ((لا أعبد ما تعبدون)) نفي للحال والمستقبل، وقوله ((أنتم عابدون ما أعبد)) مقابله، أي: لا تفعلون ذلك، وقوله ((ولا أنا عابد ما عبدتم)) أي: لم يكن منّي ذلك قطّ قبل نزول الوحي، ولهذا أتى في عبادتهم بلفظ الماضي فقال(ما عبدتم) فكأنّه قال: لم أعبد قطّ ما عبدتم. وقوله((ولا أنتم عابدون ما أعبد)) مقابله، أي لم تعبدوا قطّ في الماضي ما أعبده أنا دائما"⁽¹⁾.

*تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه ولفظ الماضي حين أخبر عنهم: ذهب الإمام رحمه الله إلى أنّ هذا فيه سرّ وهو إشارة وإيماء إلى عصمة الله لنبيّه عن الانحراف عن عبادة معبوده واستبداله بغيره وأنّ معبوده واحد في الحال والمآل على الدوام، عكس الكافرين فإنّهم يعبدون أهواءهم فيعبدون اليوم معبودا وغدا غيره. ثم قال: "((لا أعبد ما تعبدون)) يعني الآن ((ولا أنتم عابدون ما أعبد)) أي الآن أيضا. ثم قال ((ولا أنا عابد ما عبدتم)) يعني ولا أنا فيما يستقبل يصدر منّي عبادة لما عبدتم أيّها الكافرون، وأشبهت(ما) هنا رائحة الشرط، فلذلك وقع بعدها الفعل بلفظ الماضي، وهو مستقبل في المعنى، كما يجيء ذلك بعد حرف الشرط، كأنّه يقول: مهما عبدتم من شيء فلا أعبده أنا"⁽²⁾.

* لم يأت النفي في حقّهم إلّا باسم الفاعل، وفي جهته جاء بالفعل تارة، وباسم الفاعل أخرى: وهذا في نظره لحكمة بديعة وهي براءة الرسول الكريم من معبودي الكفار بكلّ وجه وفي كلّ وقت "فأتى أولا بصيغة الفعل الدالّة على الحدوث والتجدّد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل في الثاني: أنّ هذا ليس وصفني ولا شأني، فكأنّه قال عبادة غير الله لا تكون فعلا لي ولا وصفا لي. فأتى بنفيين لمنفيين

¹ - ابن قيم الجوزية، التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع: محمد الندوي، تح: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، ص527.

² - نفس المصدر، ص528.

مقصودين بالنفي. وأما في حقهم فإتّما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل، أي أنّ الوصف الثابت اللازم العائد لله منتف عنكم، فليس هذا الوصف ثابتا لكم، وإتّما ثبتت لمن خصّ الله وحده بالعبادة ولم يشرك معه فيها أحدا...⁽¹⁾.

* الحكمة من استعمال (لا) في النفي دون (لن)؛ قال: "...أنّ النفي بـ(لا) أبلغ منه بـ(لن) وأتّما أدلّ على دوام النفي وطوله من (لن) وأتّما للطول والمد الذي في لفظها طال النفي بها واشتدّ، وأنّ هذا ضد ما فهمته الجهمية والمعتزلة من أنّ (لن) إتّما تنفي المستقبل ولا تنفي الحال المستمر النفي في الاستقبال"⁽²⁾.

* دلالة النفي في هذه السورة فقد اشتملت على النفي المحض: فهي سورة البراءة من الشرك ومقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحّدين والمشركين، "...ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقا للبراءة المطلوبة وهذا مع أنّها متضمنة للإثبات صريحا، فقولـه ((لا أعبد ما تعبدون)) براءة محضة ((ولا أنتم عابدون ما أعبد)) إثبات أنّ له معبودا يعبده وحده، وأنتم بريئون من عبادته، فتضمنت النفي والإثبات..."⁽³⁾.

2- (ما) :

في قوله تعالى: (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) الليل 11.

تحتمل الأداة (ما) في هذه الآية معنيين: أن تكون استفهاما بمعنى الإنكار، أو نفيًا، قال الفخر الرازي في معنى (تردّى): "أو تردى في قعر جهنّم، وتقدير الآية: إنّنا إذا يسرناه للعسرى، وهي النار تردى في جهنّم، فم يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه إلى آخرته..."⁽⁴⁾. أمّا ابن عاشور فيرى أنّ (ما) يجوز أن تكون نافية ويجوز أن تكون استفهام إنكار وتوبيخ⁽⁵⁾.

فالملاحظ أنّ أداة واحدة حملت أكثر من معنى، والمعنيان المحتملان لا يتناقضان بل كلاهما يخدم سياق الآية.

1 - التفسير القيم ، ص 528.

2 - نفس المصدر، ص 530.

3 - نفس المصدر ، ص 530/531.

4 - الرازي محمد فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1981، ج 31 ص 202.

5 - ينظر: التحرير والتنوير، ج 30 ص 387.

3- (إن):

في قوله تعالى: (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) الطارق 4.

إنّ معنى (إن) في هذه الآية متعلّق بقراءة (لما) التي بعدها؛ "فعلى قراءة تخفيف الميم تكون (إن) مخفّفة من الثقيلة و(لما) مركّبة من (اللام) الفارقة بين (إن) النافية و(إن) المخفّفة من الثقيلة ومعها (ما) الزائدة بعد (اللام) للتأكيد وأصل الكلام: إن كلّ نفس لعليها حافظ"⁽¹⁾، أمّا قراءة التشديد فتكون (إن) نافية: "لأنّ (إن) لا تخلو فيمن قرأ (لما) مشدّدة، بمعنى: إلّا أن تكون نافية..."⁽²⁾. وعليه يصبح معنى الآية: "ما كلّ نفس إلّا عليها حافظ"⁽³⁾.

4-(لم) :

في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) النبأ 6.

(لم) حرف نفي وقلب وجزم، ونجعل فعل مضارع مجزوم ب(لم) وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن. وقد جاء النفي في هذه الآية مسبقاً بالاستفهام المعبر عنه بالهمزة. والمعنى: كأنّه قيل: "قل كيف تنكرون أو تشكّون في البعث وقد عاينتم ما يدلّ عليه من القدرة التامة والعلم المحيط والحكمة الباهرة المقتضية أن لا يكون ما خلق عبثاً... والهمزة للتقرير بما بعد النفي..."⁽⁴⁾، وقد جعل صاحب التحرير والتنوير الاستفهام هنا استفهاماً تقريرياً للنفي: "وذلك النفي كالإعذار للمقرّر إن كان يريد أن ينكر وإنّما المقصود التقرير بوقوع جعل الأرض مهاداً لا بنفيه فحرف النفي لمجرّد تأكيد معنى التقرير"⁽⁵⁾.

فلتأدية لمعنى المقصود تضافرت أداة الاستفهام (الهمزة) مع أداة النفي (لم).

5- (لما):

قوله تعالى(كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) عبس 23.

1 - ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ج30 ص260. ج6 ص352.

2 - الكشاف، ج6 ص352.

3 - الجامع لأحكام القرآن، ج22 ص205.

4 - الألويسي شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج30، ص5.

5 - التحرير والتنوير، ج30، ص13.

(لما) حرف نفي يدلّ على نفي الفعل الماضي مثل (لم) ويزيد بالدلالة على استمرار النفي إلى وقت التكلم؛ كقوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) الحجرات 14، أو هي نافية جازمة ونفيها غير منقطع، والمقصود أنّه مستمرّ على عدم قضاء ما أمره الله ممّا دعاه إليه⁽¹⁾.

6-(لن):

قوله تعالى (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) النبأ 30.

لن: حرف نفي ونصب واستقبال، ويزيدكم فعل مضارع ب(لن)، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن).
وقد أجمع النحاة أنّ (لن) لنفي المستقبل، وأفادت في هذه الآية معنى: تأكيد النسبة المنفية وهي ما دلّ عليه مجموع النفي والاستثناء، لأنّ المقصود بالآية الوعيد بزيادة العذاب في المستقبل⁽²⁾. أي: المبالغة في التعذيب، و(لن) للتأكيد في النفي.

¹ - ينظر: نفس المصدر ، ج30، ص128.

² - ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ج30 ص42.

من خلال ما تقدم من نماذج تطبيقية توصلت إلى أن لكل أداة نحوية معنى خاصا وضعت له تشترك فيه مع الأدوات التي من جنسها كالاستفهام و الشرط و النفي ، إلا أن هناك حدودا فاصلة بينها ، فالهمزة ليست ك(هل) ، و(إن) تختلف عن (لو) ... فلكل أداة موضع خاص و مكان مناسب يختاره المتكلم للإفصاح عن مراده من الكلام ، و بلوغ مراميه منه ، ثم إن هذه الأدوات قد تخرج عن معانيها المألوفة وتعديل عنها لأغراض بلاغية سلف ذكرها.

و للكشف عن الدلالات و الأغراض المتعددة و جب إرجاع الأدوات إلى سياقاتها التي وردت فيها. ومنه فإن العلوم اللغوية كل متكامل ، فالنحو و البلاغة و الدلالة يخدم بعضها بعضا .

خاتمة

ختاماً وتتويجاً لهذا العمل الذي حاولت من خلاله تتبع بعض ما أمكنني التوصل إليه في مفهوم الأداة و ربطها بالسياق ، يمكن القول أنّ بحثي قد أثمر بعضاً من القضايا التي ارتأيت أن تكون بمثابة النتائج المتحصّل عليها ، أذكرها في النقاط الآتية :

1_ أولى النحاة القدامى الأداة عناية خاصة ، فألّفوا فيها الكتب و وضعوا لها تبويبا خاصا متبعين في ذلك منهجية معينة ، فتجدها في كتب النحو العامة ضمن تبويب خاص بها ، كما تجدها في كتب النحو الخاصة المعروفة بكتب حروف المعاني .

2_ وافق علماء اللغة المحدثون النحاة القدامى في أنّ الأداة مصطلح لا يكافئ مصطلح الحرف ، بل يتعداه ليشمل بعض الأسماء و الأفعال و الظروف و بعض النواسخ.

3_ إنّه حيثما وجدت أداة وجد تعليق ، فالتعليق بالأداة من أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية ، فهو المعنى الوظيفي العام الذي تشترك فيه جميع الأدوات إذ هي العنصر الرّابط بين أجزاء التركيب اللغوي .

4_ إنّ كلّ صنف من الأدوات يؤدّي وظيفة خاصة تسمى الأدوات باسمها ، كالنفي و الاستفهام و الشرط والتأكيد ... فيكون معنى الأداة هو معنى الجملة حيث تسري التسمية الواحدة على الأداة و الجملة معا.

5_ بلوغ المعنى و الدلالة لا يتأتى بالنظر إلى الأداة في نفسها منفردة بل يستفاد من النظرة الأفقية في التركيب ، أي من خلال النظر إلى الأداة مع غيرها من العناصر داخل السياق اللغوي الذي ترد فيه محكوما بالسياق المقامي .

6_ لكل من الاستفهام و الشرط و النفي أدوات خاصة ، لكن هذه الأدوات قد تخرج عن معانيها المألوفة و تكتسي دلالات جديدة في سياقات مختلفة تسمى أغراضا بلاغية.

7_ انتقاء أداة أداة نحوية ما و توظيفها لمعنى معيّن أمر مهم جدّاً ، فمثلا الاستفهام بالهمزة ليس كالاستفهام ب(هل) ، و تأدية الشرط ب(إن) ليس كتأديته ب(لو) ، و النفي كذلك ، فموضع (لا) غير

خاتمة

موضع (ما) غير موضع (لم) ... فكل أداة وضعت للدلالة محددة ، و قد تتساوى أداتان في المعنى إلا أنّ إحدهما تكون أبلغ وأقرب إلى الصواب من الأخرى .

8_ إذا تعددت الدلالات لأداة نحوية ما في تركيب لغوي معين وأشكل تحديد الأقرب إلى الصحة منها، وجب اللجوء إلى السياق، فإرجاع الأداة إلى سياقها الذي وردت فيه ونسبتها إليه هو الفيصل في ضبط الدلالة الصحيحة .

9_ يعتبر السياق أهم القرائن في توجيه دلالات الأدوات النحوية، فقطع الأداة عن سياقها يعد موتا للدلالة، إذ لا يمكن إغفاله والاستغناء عنه، بل يجب على الدارس أخذه مصباحا يوضح له المعنى الصحيح .

وفي الأخير أقول إنّ البحث في هذا المجال يبقى مفتوحا لمن أراد الإبحار أكثر، وتنوع التراكيب في اللغة العربية يتيح مجالا أوسع للبحث وتتبع أسرار الاستعمال وقيم التوظيف التي تعد هدفا جادا للدراسة خصوصا إذا تعلق الأمر بلغة القرآن الكريم، بما تحمله من فصاحة ودقة استعمال.

هذه خطوة أرجو أن تكون قد قدمت للبحث في هذا الموضوع شيئا ليكون بذرة مستقبلا لمن يتخذ هذا التخصص هدفا لبحوثه ، وأتمنى أن يفيد في هذا المجال ويحقق ما سعت إليه في بدايته .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- - الأسترابادي الرّضي، شرح الرضي على الكافية، نح: يونس حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996 .
- - الألوسي شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .
- - الأنصاري ابن هشام:- شرح شذور الذهب، دار ابن كثير، بيروت -لبنان، ط3، 2013 .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت ، ط1، 2000 .
- - أنيس إبراهيم ، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية للطباعة والنشر، مصر ، ط6، 1978.
- - أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة .
- - بلحاف عامر فائل محمد، الخلاف النحوي في الأدوات، 1980 .
- - التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون ، تح:علي دحروج، متبة لبنان ، ط1، 1996.
- - الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، نح:- التونجي محمد، دار الكتاب العربي، ط2، 1997 .
- شاکر محمود محمد .
- الفقي سعد كريم، دار اليقين، مصر، 2001 .
- - الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تح: صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر و التوزيع.
- - ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 .
- - حسان تمام:- البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة، 1413 .
- اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، 1994 .

قائمة المصادر والمراجع

- - حمودة المثني عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني-دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، ط1، 2007 .
- - خليل حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي- دراسة في الفكر العربي اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1988 .
- - خليل عبد النعيم، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين- دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، ط1، 2007 .
- - الرازي محمد فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1981 .
- - الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر
- - الزمخشري جار الله أبو القاسم :- أساس البلاغة ، دار الفكر، لبنان ، ط1999.
- الكشاف عن حقائق ،تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط1، 1998.
- - الساقى فاضل مصطفى ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 2008.
- - السعران محمود ، علم اللغة -مقدمة للقارئ العربي- ، دار المعارف ، 1962.
- - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3، 1988.
- - السيوطي جلال الدين :- الإتقان في علوم القرآن ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، صيدا-بيروت، 1988.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، ط1، 1998.
- - الشاذلي أبو السعود حسنين ، الأدوات النحوية و تعدد معانيها الوظيفية-دراسة تحليلية تطبيقية- ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 1989.
- - الشافعي محمد بن إدريس ، الرسالة ، تح: أحمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة ، ط2 ، 1399.

قائمة المصادر والمراجع

- - ابن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984.
- - ابن عبد السلام عز الدين، الغمام في بيان أدلة الأحكام ، تح: رضوان مختار بن غربية ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط 1 ، 1407.
- - عدد من اللغويين العرب ، المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية و متعلميها ، لاروس للنشر و التوزيع ، 1989.
- - العريان محمد ، المعنلى بين الدلالة المعجمية و الدلالة السياقية في قصة محمد بن المؤمل للجاحظ ، ط 1 ، 1414.
- - الفراء أبو زكرياء ، معاني القرآن ، تح: أحمد يونس نجاتي و محمد علي النجار ، دار السرور للنشر ، بيروت ، 1980.
- - قدور أحمد محمد، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق-سوريا ، ط3، 2008.
- - ابن قيم الجوزية شهاب الدين أبو عبد الله :- بدائع الفوائد ، تح: علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع.
- التفسير القيم ، تح: محمد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان.
- - ابن كثير إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ،
- - الكلبي محمد بن أحمد ، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط 4 ، 1403.
- - المبرد محمد بن يزيد ، المقتضب ، تح: عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث ، بيروت ، ط2 ، 1979 / ط 3 ، 1994.
- - المتولي صبري ، في علم النحو -رؤية جديدة و عرض نقدي- ، دار غريب ، القاهرة-مصر ، 2001.
- - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط 4 ، 2004.
- - المخزومي مهدي ، في النحو العربي -نقد و توجيه- ، دار الرائد العربي ، بيروت-لبنان ، ط 2 ، 1986 ،
- - المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تح: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط 1 ، 1992.

قائمة المصادر والمراجع

- - ابن منظور ، لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير و آخرون ، دار المعارف ، القاهرة.
 - - النحاس مصطفى ، دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986.
 - - نهر هادي ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، إربد-الأردن ، ط1 ، 2007.
 - - ابن يعيش موفق الدين ، شرح المفصل للزمخشري ، تح: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، ط1 ، 2001.
- **المجلات و الدوريات :**
- - خان محمد ، الأدوات النحوية بنيتها و وظيفتها ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة - الجزائر ، جانفي 2009 ، ع4.

فهرس المحتويات

مقدمة أ

مدخل: 9

✓ تعريف السياق (لغة واصطلاحا)..... 9

✓ أقسام السياق..... 13

✓ أهمية السياق..... 15

✓ السياق عند العلماء القدامى:

- عند النحويين واللغويين

- عند البلاغيين

- عند المفسرين و الأصوليين

✓ السياق في النظرية الحديثة

1- الفصل الأول: الأداة النحوية (المفهوم والمنهج والوظيفة)

1- تعريفها

2- الأداة عند العرب القدامى

3- الأداة عند العرب المحدثين

4- سماتها ومميزاتها

5- أنواعها

6- دور السياق في تحديد دلالتها

2- الفصل الثاني: نماذج وتطبيق (أدوات : الاستفهام، والشرط، والنفي)

3- أدوات الاستفهام

• الهمزة

- هل
- الفرق بينهما
- نماذج تطبيقية

4- أدوات الشرط

- إن
- لو
- الفرق بينهما
- الفرق بين إن و إذا
- نماذج تطبيقية

5- أدوات النفي

- الأدوات المفردة (لا ، ما ، إن)
- الأدوات المركبة (لم ، لما ، لن)
- نماذج تطبيقية

خاتمة

قائمة المصادر و المراجع

فهرس المحتويات